مرقس
رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام
سبتمبر ٢٠٢٥

الشهداء قزمان ودميان الطبيبان وإخوتهما: أنثيموس، ليونس، افبربيوس؛ وثيئودوت أمهم

«وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ»

(دانيال ١٢: ٣)

(تذكار استشهادهم يوم ٢٢ هاتور من كلِّ عام)

[رسم يوحنا الأرمني (القرن الثامن عشر الميلادي) في كنيسة العذراء المُعلَّقة – مصر القديمة]

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٩ سبتمبر ٢٠٢٥م.

العدد ٦٦٦ نسئ ١٧٤١ش / توت ١٧٤٢ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«لَا تُطْفِئُوا الرُّوحَ» ١

مقال للأب متى المسكين:

الصليب مصدر فرح ومجد ٦

انتقال راهب فاضل:

الراهب الطَّيِّب القلب – الأب استفانوس المقاري ١٠

من أقوال الآباء: الحثُّ على الاستشهاد ١٣

من قصص شهداء الكنيسة القبطية:

الشمَّاس يوحنا بن مرقس ١٨

من قصص الشهداء:

استشهاد الأُمِّ وأبنائها السبعة ٢٢

قصة رمزيَّة ذات مغزى: جبَّارٌ فَقَدَ قوَّته ٢٦

ادخل إلى العمق (٥٤):

الخدمة شهادة محبَّة للمسيح ٣٢

من التراث الكنسي: معرفة الله (٢١) ٣٧

بحث تاريخي: أديرة وكنائس منفلوط الأثريَّة (١) ٤٢

تقديم كتاب: التقليد الأرثوذكسي ٤٦

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 59 - 61 .... ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

الاستشهاد أمام الضمير

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✿✞✿

[كثيرًا ما يقول أحدُكم: ”أين الاضطهاد حتَّى أستشهد؟“
استشهدْ أمام ضميرِك! مُتْ عن الخطيَّة!
«أَمِتْ أعضاءَكَ التي على الأرض» (كو ٣: ٥)،
وستصير شهيدًا باختيارِك.
فأولئك (الشُّهداء) كانوا يُقاتلون ملوكًا ورؤساءَ،
أمَّا أنت فتُصارِع إبليسَ، مَلِكَ الخطيَّة ...
فَمَنْ تَعَبَّدَ للزِّنَى وانشغلَ باللَّذَّات،
فقد جَحَدَ يسوع وسجدَ للأصَنام،
وله في نفسه أفروديت شهوة الجسد المُخزية.
ومَنْ كان مغلوبًا من الغضب والغيظ،
ولم يقطعْ جنون هذا الهوى،
فقد أنكر يسوع وله آريا داخل نفسه إلهًا.
والآخَر المُحبُّ للفضَّة والمُحِبُّ للَّذَّات،
ويُغلِق أحشاءه عن أخيه (١يو ٣: ١٧)،
فقد كَفَرَ بيسوعَ، وعَبَدَ الأصنام وله هرمس إلهًا؛
هكذا، فإنْ أنتَ ضَبَطتَ نفسَكَ من هذه الأمور،
وتَحَفَّظتَ من الأهواء الجامحة،
فقد وَطِئْتَ الأصنام، وجحدتَ الخرافات،
وصرتَ شهيدًا، واعترفتَ الاعتراف الحَسَن].

أقوال آباء البريَّة، المجموعة المجهولة النسب، قول ٦٠٠
(قارن ”بستان الرهبان“، قول ٧١١ - حياة أنطونيوس ٤٧)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام

ثمن النسخة ١٧ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌ ... حدُّه الأدنى:
١٧٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
٢٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
١١٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
يُسدَّد عن طريق موقع الدير على الإنترنت
عنوان المراسلات:
ص.ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

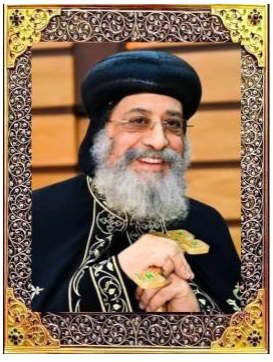

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

(ب)

«لَا تُطْفِئُوا الرُّوحَ»[١]

(١تس ٥: ١٩)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

✠✝✠

- **نتائج انطفاء روح الله:**

وهنا نتساءل ما هي النتائج المُترتِّبة على انطفاء روح الله داخل الإنسان؟

يوجد ثلاث علامات لشكل الإنسان الذي انطفأ فيه روح الله، وهي:

أولًا: ظلام العقل:

أحيانًا نتقابل مع شخص يكون ذا عقل مُظلِم، وليس هذا معناه إنه إنسانٌ قليل التعليم أو الدراسة؛ بل على العكس، قد يكون حاصلًا على أعلى الشهادات العلمية، ومع هذا يكون له هذا العقل المُظلِم.

وصاحب العقل المُظلِم فاقد القُدرة على التميز والإفراز، فالنار تُعطي نورًا، وبانطفاء النار يغيب النور؛ وهكذا بانطفاء الروح القدس في الإنسان يفقد الإنسان استنارة نفسه، ويُظْلِم عقله.

وللقدِّيس يوحنا ذهبي الفم هذه العبارة الجميلة:

[إنَّ اللصوص عند سلبهم بيتًا ما، فإنهم عندما يدخلونه يُطفئون السِّراج الذي فيه، حتى يقدروا أن يُحقِّقوا غايتهم. وهكذا فإنَّ عمل الشيطان الرئيسي عند اقتحامه قلب المؤمن، هو تحطيم عمل الروح فيه، حتى يسلبه كلَّ حياته].

وهكذا الشيطان، فإنه خلال حربه مع الإنسان يُحطِّم عمل الروح فيه أولًا، حتى يستطيع أن يسلبه كلَّ حياته.

---

(١) الجزء الأول من هذه الكلمة: «لَا تُطْفِئُوا الرُّوحَ» (أ)، نُشِر في عدد مايو ٢٠٢٥، ص ١ – ٥.

فليس هناك استنارة للروح عندما يبدأ الإنسان في الهبوط من سيِّئ إلى أسوأ، وحينئذ يضل العقل ويفسد القلب.

ثانيًا: الفتور الروحي:

النار كما تُعطى نورًا، تُعطى أيضًا حرارة، فبانطفاء الروح في المؤمن تقل معه حرارته الروحيَّة فيفتر. وهذه حالة من حالات الكسل الروحي، ومن الفتور يتطوَّر الأمر إلى برودة روحيَّة، والبرودة تتحوَّل إلى غُربة تتحوَّل بدورها إلى حالة من حالات العجز الروحي.

وهنا تبدأ حرارة الإنسان الروحية في التناقُص تدريجيًّا، سواء في وقفة الصلاة، أو التسبحة، أو الإنجيل، أو جلسة الاعتراف، أو القدَّاس، أو في أيٍّ من وسائط النعمة. ويبدأ الإنسان في أن يتذكَّر كيف كانت حرارته الروحية قديمًا، وما وصل إليه الآن من عجز روحي.

لذلك يقول القدِّيس بولس الرسول: «حَارِّينَ فِي الرُّوحِ» (رو ١٢: ١١)، ويُشبِّه القدِّيس الأنبا أنطونيوس الإنسانَ بالطائر من حيث الدفء، فيقول:

[كما إنه بدون تدفئة البيض لا يخرج الفرخ الحي؛ هكذا أيضًا بالنسبة للنفس، إذ يُحيط الله بها عندما تُطيعه. فترتفع في حياتها الروحيَّة].

ثالثًا: الشعور بالتيه:

أمَّا الصفة الثالثة لنتائج انطفاء الروح، فهي شعور الإنسان بالتيه، بمعنى أنَّ حياته تكون غير مُنظَّمة أو غير واضحة، فينتقل من مشكلةٍ إلى مشكلة، ومن حكايةٍ إلى حكاية، وإن نصحته بالتَّروِّي يُجيب ويقول: لم أنتبه لهذا الأمر أو ذاك. وهذا ما يُسمِّيه الآباء بالغفلة، بمعنى أنَّ هذا الإنسان لا هو مُستيقظ، ولا هو نائم في مسيرة حياته. فمثلًا إن بدأ حياة ديريَّة، فبعد سنة أو سنتين ينقلب على نفسه. وإن بدأ حياة أُسريَّة فبعد سنة أو سنتين ينقلب أيضًا على نفسه، وهكذا إن بدأ أي مشروع ... إلخ.

فالإنسان التائه دائمًا ما ينقلب على نفسه، لأنه شخصٌ لا يضع خطوات أو منهجًا مُحدَّدًا لحياته، بمعنى أنه لا يوجد هدف واضح لحياته، ومثل هذا الإنسان يجد في النهاية أنه لا يوجد معنى لحياته. وقد يتطوَّر هذا الأمر إلى أن يُنهي مثل هذا الشخص حياته بيده وينتحر.

● **علاج انطفاء الروح:**

كيف يُشعِل الإنسان في نفسه الحرارة الروحيَّة؟ أو كيف يتجنَّب هذا الضعف الروحي؟ وكيف ينتبه إلى أنَّ نار الروح القدس التي تعمل فيه تكون عاملة ومُتأجِّجة على الدوام؟ وكيف يكون له هذا القلب المُلتهب والذهن المُستنير دائمًا؟

إنَّ علاج انطفاء الروح يتمُّ عن طريق ثلاث نقاط رئيسية، هي:

١ – روح الصلاة:

اعلم أنَّ النار إن لم تجد وقودًا فلا بدَّ أنها ستنطفئ، ومن أنواع الوقود التى تُشعِل نار الروح فينا هي الصلاة. فأكثر فعل نجده في حياتنا وفي إيماننا، هو فعل الصلاة، كما علَّمنا ربنا يسوع المسيح: «وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يُمَلَّ» (لو ١٨: ١). ففعل الصلاة هو الذي يُشعِل نار الروح فينا.

وهذا ما يختبره الآباء في الدير، ففي بداية التسبحة قد يشعر أحدهم بالتعب أو الرغبة في النوم، أو أي شكل من أشكال الضعف، ثم بعد أن يبدأ في الغوص في أجزاء التسبحة، تبدأ حرارة الروح تدبُّ في جسده. وبوصوله إلى نهاية التسبحة يكون قد وصل إلى حالة من النشاط والفرح، ويبدأ يومه الجديد وهو يشعر بدفقة من دفقات الروح بداخله. لذلك يقول مُعلِّمنا داود النبي: «عِنْدَ لَهَجِي اشْتَعَلَتِ النَّارُ. تَكَلَّمْتُ بِلِسَانِي» (مز ٣٩: ٣)، وكلمة "لهجي" إشارة إلى الصلاة المُتواترة.

فأيُّ نارٍ هذه التي يتكلَّم عنها المُرنِّم؟

هذه النار هي الله «لأَنَّ "إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ"» (عب ١٢: ٢٩)، فطالما الإنسان قريبًا من مسيحه، من خلال روح الصلاة، فإنَّ عمل الروح يكون دائمًا مُشتعلًا فيه، وهُنا تزداد حرارة القلب ويزداد التهاب الروح. فكلما تعمَّقت الصلاة داخل القلب، كلما ازداد القلب حرارة.

وللشيخ الروحاني هذه العبارة الجميلة: "بالصلاة تَتَّقِد في النفس نار محبة المسيح".

ويصف بعض الآباء الصلاة بهذا الوصف الجميل، فيقولون: "إنَّ الصلاة عِشْقٌ إلهيٌّ".

ويقول الأب ثيئوفان الناسك: "حافظ دائمًا على اشتعال موقدك الداخلي بتلاوة الصلوات القصيرة، ومُراقبة مشاعرك لئلَّا تتبدَّد حرارتها".

ومن التقاليد النُّسكيَّة والكنسيَّة الجميلة التي وضعها لنا الآباء، الصلاة القصيرة: "يا ربِي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ"، لأن هذه الصلاة من المُمكن تلاوتها في كلِّ وقت وفي كلِّ مكان. وهذا يُساعد الإنسان على ألَّا تبرد حرارته الروحيَّة، وأن تصير مشاعره وروحه دائمًا دافئة وحارَّة بعمل الله فيها.

٢ – المحبَّة:

المحبَّة تُعطي حرارةً في القلب، فالمحبَّة نفسها نار، قيل عنها في سِفْر النشيد هذه العبارة الجميلة: «مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْفِئَ الْمَحَبَّةَ» (نش ٨: ٧)، لأنه حيثما يوجد الحُبُّ الحقيقي يوجد الله.

يقول القدِّيس بولس الرسول: «الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ» (غل ٥: ٦)، بمعنى الإيمان الذي يُترجَم إلى المحبَّة. مثل شخص حرارته تكون مُرتفعة، فلكي ما نعرف مقدار هذه الحرارة نستعين بجهاز الترمومتر، الذي يكشف لنا مقدار هذه الحرارة، وبذلك نُعبِّر عن الحرارة بالأرقام ٣٨ أو ٣٩ أو ... وهكذا نستطيع أن نعرف حالة الشخص. وهكذا الإيمان فوسيلة التعبير عنه هي المحبة، فالترمومتر الذي يقيس درجة الإيمان هو أعمال المحبة، فلا يوجد مقياس للإيمان إلَّا من خلال المحبَّة. فالمحبَّة هي التي تجعل حرارة الروح مُشتعلة دائمًا في الإنسان.

فكما غفر الله لنا نغفر نحن للآخرين، وكما صالحنا نتعلَّم أن نتصالح مع الآخرين، وكما سامحنا نتسامح مع كلِّ أحد. فالإنسان الذي لا يستطيع أن يُسامح يكون الروح بداخله مُنطفئًا. ولذلك انتبه، أيها الإنسان المُعانِد، فإن كنتَ لا تستطيع أن تُسامح أخاك، فاعلم أنَّ الروح الذي بداخلك كاد أن ينطفئ.

فعلينا أن نحبَّ الله، أي أن يكون الله حاضرًا في أذهاننا كلَّ حين، فلا ننسى الله حينما نُخطِّط لحياتنا، ولا ننسى الله في حلِّ مشاكلنا، وفي إبداعاتنا.

الأمانة في محبة الله هي ألَّا نخون الله، فالله يطلب منَّا في محبته أمانة العروس لعريسها. وهذا الخيانة تحدث عندما توجد آلهة أُخرى في حياتنا، فنسقط في غوايتها ونخضع لها مثل غواية المال وإغراء الشيطان.

والمحبة أيضًا عطاء، وعطاء المحبة بذل. فماذا نُعطى الله في محبتنا له، وماذا نبذل من أجل الله؟

الله يُريد أن نحبَّه من كلِّ النفس، فلا ننسى الله في كلِّ نَفَس نتنفَّسه، ونمجِّد الله في كلِّ عملٍ لنا.

إنَّ محبَّة الله في حياتنا تكون بأن يُستعلَن الرب في كلِّ أعمالنا.

٣ – التوبة:

داود النبي عندما وقع في الخطيَّة مع امرأة أوريا الحثِّي وتسبَّب في قتله وأخذ امرأته، أرسل الله ناثان النبي له وأعلمه ببشاعة خطيئته، فاعترف داود بخطيئته أمام ناثان النبي وقال: "أخطأتُ إلى الربِّ". ولمَّا أقرَّ بخطيئته، قال له ناثان النبي: «الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ» (٢صم ١٢: ١٣)، إلَّا أنَّ الأمر لم ينتَهِ عند هذا الحدِّ، فداود اكتشف أن هناك مشكلة في قلبه، وتغيير قلبه أمرٌ لا يتمُّ هكذا، فبدأ يبكي على خطيئته ويطلب رحمة الله، وقدَّم مزمور التوبة الذي كشف عن صدق توبته، فقال:

+ «اِرْحَمْنِي يَا اَللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ ... قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي» (مز ٥١: ١ - ١١).

إنَّ الخطيَّة تُطفئ عمل الروح، وبالتوبة يسترجع الإنسان حرارته الروحيَّة وقوَّته.

وبذلك يمكننا القول إنَّ الندم على الخطيَّة لا يكون بمشاعرنا فقط، ولكن بأفعالٍ عمليَّة وروحيَّة، لذلك تُصلِّي الكنيسة وتُنادي بالتوبة باستمرار، وكأنَّ الكنيسة تُنبِّهنا ألَّا نُطفئ الروح، فلا تُطفئ الروح في حياتك. ونسمع في نبوَّات الصوم المقدَّس قول الكتاب: «وَلكِنِ الآنَ، يَقُولُ الرَّبُّ، ارْجِعُوا إِلَيَّ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَبِالصَّوْمِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ» (يؤ ٢: ١٢).

وعندما يتحوَّل الندم إلى صلاة طلبًا للرحمة، فإننا نمتلئ طاقةً روحيَّة كبيرة ترفعنا إلى السماء وتُبعدنا عن طريق الخطية.

فتوبة الإنسان تجعل قلبه دائمًا عامرًا بعمل الروح. فلا تنسَ أنَّ نار الروح القدس تُعطيك نورًا في الظلام، واستنارة النفس، وراحة القلب.

البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقال للأب متى المسكين

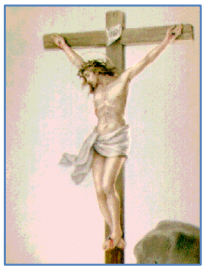

الصليب

مصدر فرح ومجد[1]

في هذا العنوان مضادة صارخة، كيف يكون الصليب، وهو رمز الظلم والعذاب والعار، مصدر مجد وفرح؟ أليس هذا أمرًا غير معقول؟ وأليس كل ما هو غير معقول جهالة؟

نعم، ولذلك يلزمنا أن نصير جهلاء لنتذوَّق فرح الصليب ويحلَّ علينا مجده؛ ولكن جهلاء فيما يخصُّ الظلم والعذاب والعار، أي نتجاهلها إلى حين ليحلَّ علينا فرح الصليب ومجده، وكيف نتجاهل الظلم والعذاب والعار؟

كثيرون يفرحون بالصليب، صليب المسيح، لأن عليه تألَّم المسيح ومات، وبآلامه وموته نلنا الفداء، وفي الفداء أعظم فرح لأنه عِتْقٌ من موت أبدي. لقد فدانا المسيح من الآلام ومن الموت في معناهما الروحي والأبدي، لأن المسيح (من جهة لاهوته) روح أبدي، فصار فرح الفداء روحيًّا وأبديًّا أيضًا.

ولكن مجرد فرحي بآلام غيري وبموت غيري افتئات وجمود وسلبية مطلقة. فرح مثل هذا ليس هو تجاهُلًا للظلم والعذاب، بل هو تجاهلٌ للمسيح. **إن سرَّ المسيح الأعظم هو أن المسيح لا يُمثِّل "آخر" بالنسبة لي، بل يُمثِّلني أنا نفسي بلحمي وعظمي وروحي وكل ما فيَّ وما عليَّ.**

الله ظلَّ بالنسبة للإنسان "آخر" تمامًا. هو من طبيعة وأنا من طبيعة أخرى، هو لا يُمثِّلني أبدًا وأنا لا أُمثِّله أبدًا، **إلى أن تجسَّد المسيح ابن الله في طبيعتي، فصار يُمثِّلني تمامًا لدى الآب، وصرتُ عندما يحلُّ روحه في داخلي أمثِّله تمامًا لدى كلِّ الذين لم يعرفوه بعد.** صار هو أمام الآب كخاطئ يطلب برَّ الله لسبي، وصرتُ أنا بروحه الأزلي أتراءى لدى الآب كأني هو، كأني بار، كأني ابن: «وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ» (عب ٢: ١٠).

(١) عن كتاب: "مع المسيح في آلامه حتى الصليب"، الطبعة الثامنة: ٢٠١٩، من صفحة ٢٥٨ – ٢٦٢.

إذن، فهل يمكن أن يصبح صليب المسيح، أي تصبح آلامه وموته، مصدر فرح لي ومجد دون أن تكون هي آلامي وموتي، وأكون شريكًا؟ هذا أمرٌ مُحال لأن كلَّ ما للمسيح صار لي، صليبه ومجده وفرحه وألمه معًا. إذن، فكيف أتألم معه لأفرح معه وأتمجَّد معه؟

مِن على المنبر يمكن أن نصل بالسامعين إلى شركة آلام المسيح، وشركة مجد المسيح، وشركة كل شيء بغاية السهولة بالكلام والعواطف؛ بل حتى يمكننا أن نُقنع السامعين أنهم صاروا أطهارًا ومُبرَّرين، بالكلام أيضًا؛ بل وندعوهم للفرح والمجد وكأنَّ الفرح فكرة، مجرد فكرة، والمجد بالإقناع مجرد إقناع. ويكفي أن يقول الواعظ بعد ذلك: هلليلويا! ليرقص السامعون ويفرحوا بصليب المسيح!!! ولكن حينما يدخل الصليب حياتنا بالفعل، يبطل الرقص، ويتوقَّف الهتاف، وينسدُّ الفم عن هلليلويا، ويقف الإنسان يطلب بإلحاح أن يُرفَع عنه الصليب. ثم إذ يتباطأ الله، يبتدئ التذمُّر وتبدأ المُحاجاة مع الله والعتاب ثم الخصام ثم الجفاء، وأخيرًا يُسدل الستار عن قصة غرام مع الله قصيرة انتهت بمأساة وقطيعة.

هذا مدخلٌ للفرح الروحي وهمي وخاطئ جدّ الخطأ، وتعرُّف على الصليب من خلال الألفاظ والمعاني وليس على أساس الواقع والحق.

فما هو المدخل الصادق للفرح الصادق؟ وما هو الصليب الواقعي؟

- **حينما يقع علينا ظلمٌ مكشوف وفاضح،**
  فهذا هو المسيح يتعرَّى استعدادًا للصليب!
- **حينما يَدُقُّ الحزن والألم باب حياتنا،**
  فهذا هو المسيح يُرفَع على الصليب!
- **حينما تقع الخسارة وتدخل التجربة أعماقنا،**
  فهذا هو المسيح تُدَقُّ يداه ورجلاه على الصليب!
- **حينما يُطوَّح بكرامتنا إلى الطين ونفقد كلَّ شيء،**
  فهذا هو المسيح يُنكِّس الرأس ويُسلم الروح!

إذن، فليست هناك حدود تفصل صليبي عن صليب المسيح. إنَّ تجربتي مُعادة، تمَّت أولًا على صليب المسيح بنجاح، واليوم يُراد تجديدها لحسابي.

✞ ✞ ✞

ثلاث مراحل يجوزها صليبي ليتحوَّل إلى فرح المسيح:

المرحلة الأولى: الرِّضا:

إن كنتُ حقًّا أومن بالله وأومن بأن الله قادرٌ على كلِّ شيء، وهو ضابط الكل، فعليَّ أن أُسلِّمَ له حياتي، عالمًا بمَنْ آمنتُ، واثقًا بالأذرع الأبديَّة القادرة أن تحفظَ وديعتي وتُقيمَني من الموت.

بهذا الإيمان وبهذه الثقة يسهل عليَّ الرِّضا بصليبي أيًّا كان هذا الصليب: مرض عضال! شوكة في جسدي أو جسد مَن أحبَّته نفسي! خيانة أخ وصديق كان حبيب نفسي وأليف حياتي! خسارة وفقر مُذِل! ظلم واضطهاد وطغيان! مذمَّة واغتياب ومُخاصمة الألسن! سيَّان، سيَّان، هو صليب على كلِّ حال!

فإن كانت عيني قد تثبَّتت على مسيح حياتي، ورسمتُ صليبه وآلامه في قلبي وفي جسدي فسأرضى، نعم سأرضى بصليبي لأنه سيكون في نظري تجربة مُعادة.

ولكن بمجرد أن أرضى بصليبي، فإنَّ الله يحاول أن يستوثق من رضائي أو بالحري يجعلني أستوثق أنا بنفسي من رضائي، فيُثقِّل يده عليَّ قليلًا، ويُطيل زمن التجربة قليلًا، حتى أستوثق أنا من رضا نفسي، وبالتالي يستوثق هو أيضًا من نفسي.

وهنا، نعم هنا، يتمُّ سرُّ الصليب الأول عندما يتحوَّل الرِّضا إلى شُكر بفعل النعمة، ويصير الشكر هبة ثمينة شِبْه معجزة، لأن الشكر إنما يكون عادةً قرين الخير فقط. إذن، فهنا يكون الشرُّ قد تحوَّل إلى خير لي بفعل الصليب وبقوة الرِّضا.

المرحلة الثانية: تجربة الشكر:

بعد غمرة الانذهال من نوال القدرة على الشكر في وسط الألم وعمق التجربة، يستيقظ الإنسان فجأة مُتعجِّبًا من نفسه: "كيف أشكر وأنا مُهان"؟ "ولماذا أشكر والله قادر أن يرفع التجربة، وهو لم يرفعها"؟ هنا تدخل النفس في عِراك مع الموهبة ويصطرع الشكر مع غُصَّة الألم. ولكن عندما يُكرِم الإنسانُ الموهبةَ ويشكر، ثم يشكر مُتحدِّيًا الألم والتجربة على مدى الأيام والليالي، تحدث المعجزة الثانية ويتمُّ سرُّ الصليب الثاني، عندما يتحوَّل الشكر إلى فرح!! كهِبَة عُظمى من الله!

المرحلة الثالثة: معنى الفرح:

ماذا حدث؟ كيف أفرح بالحرمان والظلم؟ كيف أفرح وأنا في أتون التجربة وسعير الألم؟ إنَّ الفرح هو البرهان الأكيد على خروج النفس من مجال الحزن وتوقُّف التفكير في هموم الواقع المؤلم توقُّفًا كاملًا وأكيدًا. فكيف حدث هذا الخروج الفعلي من مجال التجربة؛ بل كيف تمَّ تجاهُل الألم والظلم وأنا في صميم التجربة مرفوعًا على صليبي؟؟

هنا سرُّ الصليب الثالث. هنا سرُّ الاتِّحاد! الاتِّحاد بماذا؟ الاتِّحاد بمشيئة الله ومسرَّته!! لقد كان صليبي هو هو مشيئة الله بالنسبة لي، فلمَّا رضيتُ به، رضيتُ بمشيئة الله؛ ولمَّا شكرتُ عليه، شكرتُ مشيئته، ففاضت عليَّ. ولكن لمَّا فرحتُ بصليبي، تقابلتْ مشيئتي مع مشيئة الله تمامًا، فحلَّ عليَّ مجدُ الصليبِ وفرحُه الذي هو منتهى مسرَّة الله: «كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلَامِ الْمَسِيحِ، افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلَانِ مَجْدِهِ أَيْضًا مُبْتَهِجِينَ» (١بط ٤: ١٣).

يا إخوة، افرحوا بصليبكم لتحلَّ عليكم مسرَّة الله!

(سبتمبر ١٩٦٩)

****

الصليب دليل الحب الإلهي

للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم

[أليس القدِّيس بولس في كلِّ مناسبة يُظهر لنا موت المسيح كأعظم دليل لحبِّه لنا؟ فيقول: «لكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رو ٥: ٨). ثم أليس بذلك يفتخر ويتسامى ويتهلَّل وكأنه يطير من شدَّة الاشتياق، كاتبًا لأهل غلاطية: «حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل ٦: ١٤)؟ بل إنَّ المسيح نفسه الذي احتمل هذه الآلام يدعوها مجدًا له (يو ١٧: ١)! وحينما أراد أن يُبيِّن لنا حبَّه فماذا ذَكَرَ؟ هل آياته ومعجزاته وعجائبه؟ لا أبدًا! بل رفع صليبه في الوسط قائلًا: «هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ...» (يو ٣: ١٦). وهكذا أيضًا يقول بولس: «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رو ٨: ٣٢). وحينما يدعو إلى المحبة، ينصب هذا المثال أيضًا في الوسط قائلًا: «حبُّوا بعضكم بعضًا كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً» (أف ٥: ٢)].

(عظة عن العناية الإلهيَّة ١٧: ١-٧)

****

انتقال راهب فاضل

الراهب الطَّيِّب القلب

الأب استفانوس المقاري

وُلِدَ في ١٩٤٧/٥/١٦م

سيم راهبًا في ١٩٨٤/٤/٢١م

سيم قسًّا في ٢٠١٢/٤/٢٢م

تنيَّح في ٢٠٢٥/٦/٢٠م

الأب استفانوس هو راهبٌ بسيط، طيِّب القلب، أحبَّ الربَّ منذ صباه، ولكن لأجل ظروف عائليَّة خاصة أخذته دوَّامة الحياة. قضى سنواتٍ طويلة في الخدمة العسكرية، ثم عمل بعد ذلك كسائق عربات نقل في هيئة المواصلات الحكوميَّة، فقد كان معه رخصة قيادة درجة أولى. وفي كلِّ مراحل حياته، حافظ على نفسه من شرٍّ وفساد العالم.

كانت محبة الربِّ تملأ قلبه، وقد امتلكه شعورٌ أنَّ الكلَّ باطلٌ وقبض الريح. ولم يكن يهمُّه سوى أنْ يُرضي الربَّ ويصنع مشيئته، ويحزن جدًّا إذا أغضبه وكسر وصيته. وازداد هذا الاشتياق باطراد مع الأيام. ولاحظ فيه أب اعترافه ذلك في الاعتراف، فكان يختبره ليتأكَّد مِن صدق قلبه. وعندما وجد أنَّ الحرارة المُشتعلة في قلبه حقيقيَّة، عرض عليه فكرة الرهبنة في دير القدِّيس أنبا مقار (وهو أمرٌ لم يخطر على باله قط، فلم يكن قد زار أديرة من قبل)، وأعطاه جواب توصية لآباء الدير.

فرِح "الأخ جاب الله" (وهذا هو اسمه قبل الرهبنة)، بهذه الفكرة، وقطع كلَّ صِلة له بالعالم. وفي الدير، تعرَّف عليه شيوخ الدير أوَّلًا، ثم قدَّموه بتزكيَّة للأب متى المسكين، الذي جلس معه، وأحسَّ باشتياق قلبه ومحبته الشديدة للربِّ يسوع، فرحَّب به وقَبِله في الدير.

ومنذ اللحظات الأولى لدخوله الدير، بدأت ملحمة حبٍّ وعطاء وبذل إلى أقصى الحدود، استمرت لأكثر من ٣٥ سنة بلا توقُّف. فنظرًا لعمله السابق في قيادة السيارات، بدأ يساعد الآباء في عمليات استصلاح الأراضي بالدير، فكان ينقل بعربات النقل القلَّاب

الكبيرة الرمال والطميَّة والسماد. وعندما بُدِئ في زراعة النخيل، كان الدير يشتري فسايل نخل من رشيد. وكان أبونا استفانوس هو المسؤول عن الرَّيِّ اليومي لآلاف الفسايل الصغيرة بواسطة عربات فناطيس المياه. وكان يُتابع بنفسه ريَّها بالغمر في صبرٍ ومداومة دون كللٍ مِن الصباح حتى غروب الشمس، ويستمر في هذا العمل شهورًا طويلة حتى يضمن أنَّها اخضَرَّت ونمت وضربت بجذورها في الأرض.

وفي السنوات الأخيرة، كان يُتابع سقي هذا النخيل، ولكن هذه المرة عن طريق المرور بنفسه على الخراطيم والنقَّاطات التي أمام كلِّ نخلة واحدة فواحدة. واستدعى الأمر أنْ يسكن في قلاية قريبة مُنعزلة يستريح فيها بعد انتهاء يوم عمله الطويل، وهناك كان يُمارس حياته الخاصة وعبادته وقراءاته الروحيَّة وقوانينه الرهبانيَّة.

ونظرًا لخبرة الأب استفانوس المهنيَّة، فقد عمل لفترةٍ في الاهتمام بشبكة الكهرباء بالدير، وإجراء الصيانة الدوريَّة لها.

إلى هنا نكون قد وفَّينا الكلام عن الحياة العمليَّة لأخينا الراهب اسطفانوس، تلك التي رأيناها وعشناها معه طوال سنوات رهبنته. ولكن ماذا عن حياته الداخلية! حياة القلاية، علاقته الشخصيَّة بالربِّ يسوع؟ تلك الحياة التي ما فتئ الأب متى المسكين أنْ يدعو إليها أبناءه الرهبان ويُثمِّنها عن أيِّ عملٍ آخر.

في الحقيقة، كان مِن الممكن أنَّ سيرته يطويها النِّسيان، ولا يدري بها أحد، ولكن كلمة الله لا تسقط، فلا بدَّ أنْ يُستعلَن للعلن كلُّ خفي، والنور حتمًا يوضع على المنارة ليراه الجميع. ونحن عرفنا هذه الخفيَّات مِنْ خلال أمرين:

الأمر الأول: هو أنَّنا اكتشفنا بعد نياحته، أثناء جرد قلايته، عشرات الكشاكيل التي تركها، والتي كان يكتب فيها مقاطع أعجبته، ويتأمل فيها من كُتُبٍ كثيرة جدًّا قرأها، فكان يُسجِّلها كما هي بنصِّها أو يُلخِّصها بلغته هو. كلُّها كلمات حيَّة أو خبرات مؤثِّرة أو نصائح وإرشادات وجِّهت إليه أو لغيره ووجدها نافعة ومفيدة. وجميعُها في مُنتهى العمق والقوة، والتي إنْ دلَّت على شيء، فهي تدلُّ على مدى روحانيَّة الشخص الذي استوعبها ونقلها.

والأمر الثاني الذي كشف عن الأعماق الروحيَّة القويَّة لهذا الأب المُبارك: هو بعد أنْ أصابه مرض الألزهايمر في السنوات الأخيرة. فرغم أنَّ هذا المرض يجعل صاحبه ينسى

الماضي، ولا يتذكَّر الأشخاص، إلَّا أنَّه عندما كنَّا نجتمع حوله ونسأله أسئلةً روحيَّة أو نطلب منه نصيحةً رهبانيَّة؛ فكان يُجيب كلَّ واحد منَّا بمنتهي الحكمة، ويردُّ بكلام روحاني عميق، ويُردِّد أقوالًا أو آياتٍ مناسبة تمامًا لسؤال مَنْ طرحها! ولا يمكن إلَّا أنْ تشعر أنَّ هذا المُتكلِّم أمامك هو شيخ روحاني مُختَبِر في قمة الصحو.

هنيئًا لك يا أبانا المُجاهد بالفردوس وبلقاء الربِّ يسوع الذي أحببته. اذكرنا أمام عرش النعمة.

صلِّ أمام الربِّ لكي يُعطي قوةً واحتمالًا لكلِّ المرضى والمتألِّمين، آمين.

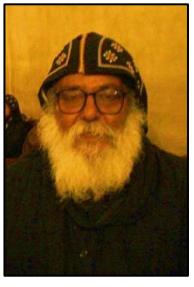

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: أبناء المُتنيِّح أنبا إبيفانيوس**

الترجمة السبعينيَّة للكتاب المقدَّس

بالمقارنة مع النصِّ العبري والترجمة القبطيَّة

سِفْرا حزقيال ودانيال

(يوناني – عربي)

مع رسوم توضيحيَّة للهيكل، وللبيت، وللباب المُتَّجه نحو الشرق،

ومصطلحات بناء الهيكل في حز ٤٠ – ٤٨

٥٢٠ صفحة (من القَطْع الكبير – تجليد فاخر)

❖❖❖

وأيضًا: طبعة عربي

٣١٢ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

الحثُّ على الاستشهاد[1]

للعلَّامة أوريجانوس الإسكندريّ

✠

- بينما كان أوريجانوس (١٨٥-٢٥٣م) في شبابه المُبكِّر، تمَّ القبض على أبيه ليونيدس أثناء اضطهاد سبتميوس ساويرس (٢٠٢م)، وعلى الرَّغم من أن أوريجانوس كان أحد تسعة أطفال في أسرته، فقد أرسل إلى أبيه قائلًا: "احذر من أنْ يضعف عزمُك بسببنا"[2]. وقد حضر استشهادَ أبيه بقطع رأسه. وقد تملَّكته رغبة الاستشهاد، رغم توسُّلات أمِّه بأنْ يُشفِق على عواطفها من نحوه، ولمَّا وجدت أنَّه ازداد ثباتًا في عزمه، لجأت إلى حيلة لمنعه من ذلك، بأنْ خبَّأتْ كلَّ ملابسه، وهكذا منعته من الخروج من المنزل. وفي سنة ٢٣٥م، كتب رسالة إلى أمبروسيوس وبروتيكتوس اللَّذَيْن أُلقيا في السِّجن بعنوان: "الحثُّ على الاستشهاد"، وهي الَّتي نقتبس منها هنا المقاطع التَّالية. وفي اضطهاد دكيوس سنة ٢٥٠م، تمَّ القبض على أوريجانوس وتعذيبه لأجل الإيمان، ومات بعدها بثلاث سنوات (٢٥٣م) على أثر ما أُصيب به جسده.

السَّير وراء المسيح حتَّى الموت:

١٢. يجبُ أيضًا أنْ نَعْلَمَ، أنَّنا قد قَبِلْنَا ما يُسَمَّى "عُهُودَ اللهِ" إزاء تعهُّداتنا الَّتي قدَّمناها إليه، لمَّا قبلنا أنْ نَحْيَا بحسب المسيحيَّة. ومن ضمن تعهُّداتنا أمام اللهِ، أنْ تكون كلُّ سيرتنا بحسب الإنجيلِ القائل: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهَذَا يُخَلِّصُهَا» (مت ١٦: ٢٤، ٢٥).

وكثيرًا ما تأثَّرنا بالأكثر حين سمعنا أيضًا قولَهُ: «فَماذا يَنْتَفِعُ الإنسانُ إنْ رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أو ماذا يُعطي الإِنسانُ فِداءً عن نَفْسِهِ؟ فَإِنَّ ابْنَ الإِنسانِ سوف يَأْتِي في مَجْدِ أبيهِ معَ مَلائِكَتِهِ، وحِينَئذٍ يُجازي كُلَّ واحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ» (مت ١٦: ٢٦، ٢٧). أمَّا

---

(١) قد تُرجم عن الأصل اليونانيِّ المنشور في:

Exhortatio ad martyrium, Origenes Werke, vol. 1. Koetschau, P. Die griechischen christlichen Schriftsteller, Hinrichs, Leipzig, 1899. (12-15)

(٢) "التَّاريخ الكنسيُّ" ليوسابيوس القيصريِّ ٦: ٢: ٢.

وجوبُ إنكارِ النَّفْسِ وحَمْلِ الصَّليبِ الخاصِّ والسَّير وراء يسوع، فلم يَكْتُبْهُ متَّى وحدَهُ، الَّذي أوردنا قولَهُ، بل كَتَبَهُ أيضًا لوقا ومَرقُس.

فاسْمَعْ ما يقوله لوقا: «وقال للجميعِ: إنْ أَرادَ أَحَدٌ أنْ يَأْتِيَ وَرائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ، وَيَتْبَعْنِي. لأَنَّ مَنْ أَرادَ أنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكْ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي، فَهَذَا يُخَلِّصُهَا. فَماذا يَنْتَفِعُ الإِنسانُ لو رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا؟» (لو ٩: ٢٣-٢٥).

أمَّا مرقس فيقول: «ودَعا الجَمعَ مع تَلاميذِهِ وقالَ لهم: إنْ أَرادَ أَحَدٌ أنْ يَتْبَعَني، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ، وَيَتْبَعْنِي. لأَنَّ مَنْ أَرادَ أنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكْ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ الإِنْجيلِ، فَهَذَا يُخَلِّصُهَا. فَماذا يَنْفَعُ الإِنسانَ إنْ رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَو ماذا يُعْطِي الإِنسانُ فِداءً عن نَفْسِهِ؟» (مر ٨: ٣٤-٣٧).

لقد كان يجب علينا منذُ زمانٍ أنْ نُنْكِرَ ذَوَاتِنا ونقولَ: «فأَحْيا لا أنا ...» (غل ٢: ٢٠)؛ والآنَ، فَلْيَظْهَرْ إنْ كُنَّا قدْ حَمَلْنا صَلِيبَنا وتَبِعْنا يسوعَ، فهذا يتَحَقَّق إنْ كان المسيحُ يَحيا فينا. وإنْ كُنَّا نُرِيدُ أنْ نُخَلِّصَ نفوسنا، لننالَها في وضعٍ أَفْضَل، فَلْنُهْلِكْها بِالاستشهاد. لأَنَّهُ إنْ أَهْلَكْناها مِن أجلِ المسيحِ، مُلْقِينَ إيَّاها في الموتِ مِنْ أجله، فَسَنَحْصُلُ لها على الخَلاصِ الحَقِيقِيِّ.

وإنْ فعلنا العَكْسَ، فَسَنَسْمَعُ أَنَّهُ لا منفعة لِمَنْ رَبِحَ العالَمَ الحِسِّيَّ كُلَّهُ، إنْ كانَ ذلكَ مقابل هلاك نَفْسِهِ أو بِخَسارَةٍ لذاتِهِ. فَمَنْ أهلك نَفْسَهُ أو خَسِرَها، ولو رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ، لا يَقْدِرُ أنْ يُقَدِّمَهُ "فِداءً عن نَفْسِهِ الهالِكَة". لأَنَّ النَّفْسَ، المَخْلوقَةَ "على صُورَةِ الله" (تك ١: ٢٧)، هي أَثْمَنُ مِنْ كُلِّ الأَشياء المادية. فالواحد الوحيد الَّذي استطاع أنْ يُقَدِّمَ فِداءً عن نُفُوسِنا الَّتي هَلَكَتْ مِنْ قَبْل، هوَ الَّذي اشْتَرانا «بِدَمِهِ الثَّمين» (١بط ١: ١٩).

١٣. ويقولُ إشعياءُ، بكلماتٍ أعمق: «جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ، أَثْيُوبْيَا وَسُوَان لأَجْلِكَ إِذْ صِرْتَ عَزِيزًا قُدَّامِي» (إش ٤٣: ٣ س). فإنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ أن تتعلَّموا في المسيحِ المعنى الدَّقيق لهذا الأمرِ ولسائرِ الأمورِ، وتُرِيدُونَ أنْ ترتقوا فوق ما تعلَّمتموه: «كما في مِرآةٍ وفي لُغْزٍ» (١كو ١٣: ١٢)، ولَمْ تَرَوْا بَعْدُ «وَجْهًا لِوَجْهٍ»، فَاسْعَوْا إلى الَّذي دَعاكُم، فتنالوا المعرفة كأحبَّاء لِلآبِ والمُعَلِّمِ الَّذي في السَّماواتِ. فإنَّ الأحبَّاء يَتَعَلَّمُونَ بالرُّؤيا الواضحة،

وليس بعد بالأَلْغازِ، بل بالحكمةِ المجرَّدة من الأَصْواتِ والكَلِماتِ والرُّموزِ والصُّوَرِ، ويتعمَّقون في طبيعةِ الأمور الرُّوحيَّة وفي جَمالِ الحَقِّ.

وإنْ كنتم تؤمنون أنَّ بولس قد اختُطِف «إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، «وَاخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا» (٢كو ١٢: ٢، ٤)، فستُدركون تباعًا أنَّ تلك الكلمات الَّتي لا يُنطَق بها والَّتي أُعلِنَت آنذاك لبولس، وبعدها نزل من السَّماء الثَّالثة، فإنَّكم أنتم (أيُّها الشُّهداء) ستعرفون ما هو أكثر وأعظم منها، دون أن ترتدُّوا إلى أسفل بعد هذه المعرفة. هذا إذا ما حملتم الصَّليب وتبعتم يسوع، الَّذي هو لنا «رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ» (عب ٤: ١٤). فأنتم أيضًا، إنْ لم ترتدُّوا من السَّير وراءه، ستجتازون السَّماوات، وترتقون ليس فقط إلى معرفة الأرض وأسرارها، بل والسَّماوات أيضًا وأسرارها.

فإنَّ في اللهِ مَناظرَ أَعْظَمَ بكثيرٍ من هذه مُذَّخرة لنا، لا تستطيعُ أيُّ طبيعةٍ مِمَّنْ هم في الجسدِ أنْ تَسْتَوْعِبَها، إِلَّا إِذَا تَخَلَّصَتْ أوَّلًا من كلِّ ما للجسَدِ. فإنِّي مُوقِنٌ أنَّ مَا تراه الشَّمسُ والقمرُ وكثرةُ النُّجومِ، بَلْ وَالملائكةُ القدِّيسُون، الَّذين جَعَلَهُمُ اللهُ «رِيحًا» وَ«لَهِيبَ نَارٍ»، فإنَّ اللهَ يذخر ويحْفَظُ عنده ما هو أَعْظَمُ مِن ذلك بكثيرٍ، ليُظهِرَهُ، عندما تُعتَق «الخليقَةُ كُلُّهَا مِنْ عُبُودِيَّةِ الْعَدُوِّ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ» (رو ٨: ٢١).

مكافأة الشُّهداء:

١٤. وهكذا، فإنَّ واحدًا من الَّذين تمَّ استشهادهم بالفعل يرتقي كثيرًا بسرعة فوق الَّذين يشهدون للمسيح بمحبَّتهم للمعرفة. وأنتَ، أيها الكاهن أمبروسيوس، إذا تَأَمَّلتَ بتدقيقٍ القولَ الإِنْجِيلِيَّ الموضوع أمامنا، فإنَّك تستطيع أنْ تَرَى، أنَّه رُبَّما لا أحدَ أو قَلِيلُونَ جدًّا، نالوا تَطْوِيبًا فائضًا أكثر من ذاك (الَّذي استُشهد)، وَلَيْتَ هذا يكون نصيبك أنت أيضًا، إذَا ما اجترتَ التَّعذيب دون أنْ تخور! أمَّا الكلمات، فهي هذه: قال بطرسُ يومًا للمُخَلِّص: «ها نحنُ قد تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ، فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟ فقال يسوع لهم (أيْ للرُّسُل): "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ اللهُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَر. وكلُّ مَنْ ترك إخوةً أو أخواتٍ أو والدَين أو أولادًا أو حقولًا أو بيوتًا من أجل اسمي، ينال أضعافًا كثيرة، ويرثُ الحياةَ الأبديَّة"» (مت ١٩: ٢٧-٢٩).

فبسبب هذه الأقوال، حتَّى لو كنتُ أملكُ على الأرض ما تملكه أنتَ، بل وأكثر منه، لكنتُ أتمنَّى أنْ أصيرَ شهيدًا للمسيح إلهي، لكي أنال "أضعافًا كثيرة"، أو، كما يقول مرقس: "مئةَ ضعفٍ" (مر ١٠: ٣٠)؛ وهذا أعظم بكثير من القليل الَّذي نتركه، إنْ دُعينا للشَّهادة، حيث يُضاعَف إلى مئةِ ضعف.

ولهذا السَّبب، إنْ كنتُ أستشهد، فإنِّي أتمنَّى أنْ أترك أولادًا مع حقولٍ ومنازل، لكي أصيرَ أبًا من قِبَل الله أبي ربِّنا يسوع المسيح، الَّذي منه تُسمَّى كلُّ أُبوَّة في السَّماء وعلى الأرض (أف ٣: ١٥)، لأكون أبًا لأولادٍ أكثر عددًا وأقدس؛ أو إنْ قلتُ بأكثر دقَّة، لأولاد مئة ضعف. وإنْ كان هناك آباء قيل عنهم لإبراهيم: «أمَّا أنتَ فتمضي إلى آبائك بسلام، متمتِّعًا[٣] بشيخوخة صالحة» (تك ١٥: ١٥)، فقد يقول أحدٌ (ولا أعلم إنْ كان قوله صائبًا): ربَّما أولئك الآباء هم الَّذين استشهدوا يومًا تاركين أولادًا، ومن أجل ذلك صاروا آباءً لرئيس الآباء إبراهيم وغيره من رؤساء الآباء. فمِن المعقول أنَّ الَّذين تركوا أولادًا واستُشْهِدوا، لم يصبحوا آباءً لأطفالٍ، بل صاروا آباءً لآباء.

١٥. وإنْ كانَ أحدٌ، من الَّذين يَغَارُون على المواهبِ العظمى (١كو ١٢: ٣١)، يُطَوِّبُ الشُّهَداءَ الأَغْنِياءَ، والشُّهَداءَ الآباءَ الَّذينَ تركوا أولادًا فيَلِدُونَ "مئة ضعف"، وينالون "حقولًا ومنازلَ" مئة ضعف، ويَتساءل: هل من الصَّواب أنَّ هؤلاء يقتنون ميراثًا روحيًّا مُضاعَفًا أَكْثَرَ من الشُّهَداءِ الَّذين كانوا فُقَراءَ في العالم؟ فَلْيُقَلْ له: كما إنَّ الَّذين احتملوا الآلامَ والعذاباتِ يتألَّقون بسبب فضيلةِ الاستشهاد، أكثر من الَّذين لم يُمتحَنوا بذلك؛ هكذا الَّذين، بالإضافة إلى رفض محبَّة الجسدِ ومحبَّة الحياةِ، قطعوا ومزَّقوا مثل هذه القيودِ الدُّنيويَّةِ (بالممتلكات والأولاد)، فإنَّهم بسبب محبَّتهم العظيمة لله، يقتنون ويحملون في نفوسهم بالحقِّ كلمةَ اللهِ الحيَّ[٤]، الفعَّالَ، والأَمْضَى من كلِّ سيفٍ ذي حدَّين (عب ٤: ١٢). فالَّذين قَطَعُوا مثل هذه القيود، وصَنَعُوا لأنفسهم أَجْنِحَةً، يستطيعون أنْ

---

(٣) تأتي في النُّسخة الإسكندريَّة وعند أوريجانوس τραφεις ومنها للقبطي البحيري: ⲉⲁⲧϣⲁⲛⲟⲩϣⲕ والصِّعيدي: ⲉⲁⲧⲥⲁⲛⲟⲩϣⲕ، بمعنى: متربِّيًا أو متمتِّعًا. لكن في النَّصِّ العبريِّ وباقي مخطوطات السَّبعينيَّة وردت: ταφεὶς أيْ تدفن.

(٤) الصِّفات: الحيّ، الفعَّال، والأَمْضَى من كلِّ سيفٍ، تعود على كلمة الله بصفته اللُّوغوس "كلمة الله"، لأنَّه هكذا فَهِم الآباء هذه الآية بأنَّها تتكلَّم عن اللُّوغوس المُشخَّص، خاصَّة أنَّها تنتهي بعبارة "وليست خليقةٌ مخفيَّةٌ... عن ذاك الَّذي معه أمرنا". انظر مثلًا تفسير ق. يوحنَّا ذهبيِّ الفم للرِّسالة إلى العبرانيِّين في NPNF, 1st Series, XIV.

يرجعوا كالنَّسْر "إلى بيتِ الَّذي يتقدَّمهم" (أم ٢٣: ٥ س).

فكما إنَّ الَّذين لم يُمتحنوا بالتَّعذيب والأوجاع يتركون الأماكن الأولى للَّذين أَظْهَرُوا صبرهم في الأوجاع، وفي أدواتِ التَعْذِيبِ المُتَنَوِّعَةِ، وفي النَّار؛ هكذا من الصَّائب أنَّنا نحنُ الفُقَراء، حتَّى وإنْ استشهدنا، فالمنطق يقتضي أنْ نترك الأَوْلَوِيَّةَ لكم، أنتم الَّذين من أجل محبَّةِ الله في المسيح (رو ٨: ٣٩)، دُسْتُم المجدَ الباطل الَّذي يشتهيه الكثيرون، وتَخَلَّيْتُم عن مثل هذه الممتلكاتِ الكثيرة، وعن العاطفةِ الحميمة من نحو الأبناء.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

سِفْر أيوب

قراءة شعريَّة تفسيريَّة

مع طرس البركة لقداسة البابا تواضروس الثاني الذي يقول فيه:

[... ما بين يديك، عزيزي القارئ، محاولة طيِّبة ومُشجِّعة على القراءة والتعلُّم من خلال الكتابة الشعريَّة المُبسَّطة والمُوضِّحة للمعاني والآيات، وهو بذلك وسيلة جديدة للفهم والمعرفة لينهل القارئ من حكمة هذا السِّفْر ...].

والكتاب ١٨٤ صفحة (من القَطْع الصغير)

****

الشمَّاس يوحنا بن مرقس

من قرية فانيد جوبت(١)

كان يوحنا بن مرقس يخدم شمَّاسًا في الكنيسة، وكان تاجر قماش الكتان. عاش في قرية "فانيد جوبت" (الزيتون) في إقليم بوشين في الصعيد. وقد أدَّت به تجارته إلى الانتقال للقاهرة، حيث صار تعامُله بالأكثر مع النساء، وعلى الأخصِّ المسلمات منهن. وقد أدَّى اختلاطه بهُنَّ للسقوط في الخطية، ما اضطره نتيجة لهذا أن يهجر مسيحيته إلى الإسلام. وقد حدث هذا أثناء حُكْم "عثمان" الأيوبي (١١٩٣-١١٩٨م). وأثمر زواجه هذا أطفالًا.

ولكن يوحنا أسرع وتاب، وعاد إلى إيمانه المسيحي. وبالطبع أَخَذَ معه أطفاله والتجأ إلى قرية قريبة من قريته اسمها "بيبلوي". وقد صارت هذه القرية، بسبب كون حاكمها إنسانًا خيِّرًا، ملجأً للمسيحيين العائدين إلى إيمانهم.

✝ **استشهاده:** ظلَّ يوحنا في قرية بيبلوي عدَّة سنين، إلى أن أحسَّ في نفسه أنه آن الأوان أن يعترف جهرًا بإيمانه بربنا يسوع المسيح، وذلك بأن يلتمس من الملك الأيوبي أن يمنحه عفوًا رسميًّا بالعودة إلى إيمانه المسيحي. لذلك باع يوحنا كلَّ ما كان له وأعطاه لأولاده، الذين استأمنهم لعناية بعض الناس في القرية، قُبَيل مغادرته إلى القاهرة.

وبينما كان في طريقه إلى القاهرة، زار كاهنًا نصحه أن يتصل أولًا بالأب البطريرك، لكنه توجَّه إلى طبيب قبطي اسمه "أبو شاكر"، كان يعمل طبيبًا خاصًّا للملك "الكامل" (١٢١٨ – ١٢٣٨م) الذي هو ابن الملك "العادل" (١٢٠٠ – ١٢١٨م). وحاول "أبو شاكر" أن يُثني يوحنا عن الذهاب إلى الملك، بل أن يذهب إلى أيِّ بلدٍ آخر يستطيع فيه أن يَجْهَر بإيمانه بحرية.

---

(١) مقتبسة عن مخطوطة باللُّغة القبطية البحيرية بتاريخ سنة ١٢١٠م، محفوظة تحت اسم: Vatican Coptic Codex 69 بمكتبة الفاتيكان الرسولية. وهي مأخوذة من دير القدِّيس أنبا مقار في القرن الثامن عشر. وقد حقَّقها "هاني ن. تكلا" من جمعية القدِّيس الأرشمندريت شنودة القبطيَّة.

وقال له الطبيب: "هؤلاء الناس أشرار، فإذا نطقتَ أمامهم بمثل هذا الكلام، فربما لا تحتمل عذاباتهم، ونكون نحن في خِزي عظيم". لكن يوحنا استأنف طريقه نحو ما تحتَّم عليه أمره.

وهكذا بَقِيَ في القاهرة، وكتب للملك رسائل يسأله فيها الإذن الرسمي له برجوعه لإيمانه المسيحي، أو يقضي عليه بحدِّ السيف إن لم يُعطِه الإذن. وبالطبع لم يَرُدَّ عليه أحد. وأخيرًا، حضر احتفالًا للقدِّيس مار جرجس في قرية خارج القاهرة اسمها "بونمونروس". وهناك تقابل مع كاهن الكنيسة الذي نال منه التشجيع للمُضِيِّ فيما يريد.

وفي اليوم التالي، قابل الملك وهو ممتطي جواده أمام الناس، وطلب منه جهارًا أن يُعطيه الإذن الرسمي أو فليُطهِّره بحدِّ السيف. وقد ظنَّ الملك أن هذه الكلمات الصادرة من رجل في هذا السِّنِّ، هي هلوسة رجل مخمور. لذلك أمر بسجنه ثلاثة أيام إلى أن يفيق من سُكره! وانتشرت أخبار التماسه للملك والقبض عليه في أنحاء المدينة كما تنتشر النار في الهشيم.

وطلب الكَتَبَة الأقباط في ديوان الحكومة من "أبي شاكر" أن يُقابل القدِّيس. وكانت هذه المقابلة هي الثانية مع "أبي شاكر" في اليوم الأول من اعتقال القدِّيس. وتمَّ بينهما نفس الحديث الذي تمَّ في المُقابلة الأولى. وقد عرض "أبو شاكر" على يوحنا إمكانية صدور عفو رسمي مشروط من الملك، ولكن القدِّيس يوحنا أصرَّ بهدوء على ما نوى عليه. وبينما كان "أبو شاكر" خارجًا من السجن، منح الحُرَّاس بعض المال لقاء حماية حياة القدِّيس. وفي نفس الليلة، استدعى الملك القدِّيس "يوحنا"، حيث عرض عليه أموالًا وأمانًا مقابل السَّفَر خارج البلاد ليُمارس مسيحيته بحرية. ولكن كل هذا كان يعني أن يعترف أولًا جهرًا بأنه كان مُسلمًا. ولكن هذا لم يُرضِ القدِّيس؛ ولذلك، أُعيد يوحنا للسجن، ليقضي بقية أيامه الثلاثة.

وفي صباح اليوم الرابع، استُدعِيَ يوحنا للمثول أمام الملك في السوق العمومي. وهناك حوكم بتهمة الارتداد مرة أخرى إلى إيمانه المسيحي. وقد تصادف أن كان يوم محاكمته مُتزامنًا مع حدثٍ هام؛ إذ كان يُقام في هذه الأثناء عرض عسكري بحري جذب شعبًا غفيرًا من أُممٍ مختلفة ومن رُتبٍ ومهنٍ متنوعة.

وهكذا كان يوحنا ماثلًا أمام الملك وسط هرج ومرج معتادَيْن في مثل هذه التجمُّعات.

وهناك عَرَضَ عليه الملك أمرًا آخر ليُثني القدِّيس عن تصميمه على ما يريد، وذلك بأن يُقدِّم له المال كهدية ملكية مع تعيينه في منصب حكومي مرموق. أمَّا تجاوُب القدِّيس فكان بنفس الطريقة الهادئة المُهذبة التي ردَّ بها من قبل: إمَّا أن يُعطيه الإذن الرسمي بالرجوع إلى إيمانه الأول، أو يُطهِّره بحدِّ السيف!

واستشار الملك قاضي القضاة وشيخ المشايخ وهو رئيس الشيوخ. وردَّ عليه هذا الأخير، بأنه بحسب أصول الدين والشريعة الإسلامية، تكون العقوبة: أَخْذ رأسه بحدِّ السيف. ووافق الملك، إلاَّ أنه رسم خطة للفارس المملوك المنوط به تنفيذ حُكْم الإعدام، واسمه "فيليم"، أن يُحاول بالقوة دون القتل الضغط على القدِّيس لعلَّه يتزحزح عن موقفه الراسخ.

ولكن هذا الفارس المملوك الذي كان أوروبيًّا مسيحيًّا ثم تحوَّل إلى الإسلام، فشل في مسعاه. وهكذا صدر إليه أَمْر الملك أن يُنفِّذ حُكْم شيخ المشايخ. لكن كان من الواضح أن بسالة القدِّيس أصابت الفارس "فيليم" بالعصبية، ما جعله يفشل في فصل رأس القدِّيس عن جسده بضربة السيف.

وقد اشتعلت مشاعر الجموع بعد تنفيذ حُكْم الإعدام، أكثر مِمَّا كانت عليه أثناء المُحاكمة، فأخذوا يُنفِّسون عنها برجم جسد القدِّيس بالحجارة، وكان الملك قد أَمَرَ بتعليقه على عمودٍ خشبي في نفس مكان استشهاده.

ثم تحوَّل غضبهم نحو أيِّ مسيحي وجدوه في الساحة. وتعرَّض بعض المسيحيين من غير الأقباط للضرب المُبرِّح حينما تقدَّموا للملك بالتماس أَخْذ جسد القدِّيس.

وفي نفس الليلة، شوهد نورٌ برَّاق خارجًا من جسد القدِّيس المُعلَّق. وقد شهد بهذا النور بعض المسيحيين والمسلمين الذين ذهبوا ليستطلعوا هذا النور، وذُهِلوا من المصدر المعجزي لهذا النور. وقد شهد واحدٌ منهم بأن هذا المنظر يُنبئ بارتفاع نفس القدِّيس إلى السماء.

وقد ظلَّ جسد القدِّيس مُعلَّقًا منذ استشهاده يوم الخميس ٤ بشنس ليلًا حتى صباح الاثنين، حينما أَمَر الملك بالتخلُّص من الجسد بإلقائه في نهر النيل ملفوفًا في كيس مليء بالحجارة التي رُجم بها القدِّيس.

وتقول المخطوطة التي سردت سيرة القدِّيس: إن القرار العصبي للملك أتى نتيجة قلقه عن النوم وظهور الأشباح له طيلة الليلتين السابقتين، حينما ظهر له القدِّيس بمجدٍ طالبًا منه أن يُنزل الجسد من العمود المُعلَّق عليه.

بركة صلوات هذا القدِّيس العظيم تكون معنا. آمين.

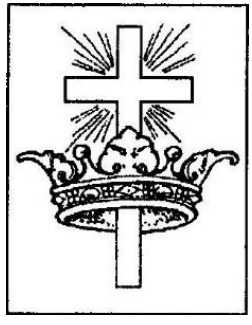

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

الأجبية

كتاب السَّبع صلوات النهاريَّة واللَّيليَّة

المزامير (السَّبعينيَّة) والأناجيل مُترجمة عن اليونانيَّة

مع المُقارنة بالتَّرجمة القبطيَّة البحيريَّة

(مع صلوات متنوِّعة، وشَرْح للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

للطريقة التي ينبغي بها لنا أن نُصلِّي المزامير)

والكتاب ٢٠٨ صفحات (من القَطْع المتوسط)

****

استشهاد الأُمِّ وأبنائها السبعة[1]

(٢مك ٧: ١ – ٤٢)

للأب فاليريان

❖ كان الأب فاليريان أسقفًا لإحدى مدن بلاد الغال (فرنسا)، في القرن الخامس الميلادي، وقد ألقى هذه العظة عن استشهاد المكابيين السبعة مع أُمِّهم:

(١) أيها الأحبَّاء، إنَّ اشتياقنا للحياة الأبديَّة يشتعل برجاءٍ عظيم، إن كنَّا من وقتٍ لآخر نتذكَّر أعمال الشهداء. وكما تذكَّرنا أُمَّ المكابيين، فإنَّ نفوسنا تمتلئ بفرحٍ أعظم بحبِّ الله وبربحِ رضاه. فقد وضعت هذه الأُم في يومٍ واحد أكاليل الاستشهاد على رؤوس سبعة أبنائها شجَّعتهم على الاستشهاد. لقد كانت قوية في الإيمان بقدر ما كانت مُثمرة في إنجاب النسل!

كانت غنيَّة بالفضائل بقدر ما كان لها من أبناء، لأنها في يومٍ واحد أعطت لله القدير شهداء كثيرين، بقدر ما ربحت منه أبناءً في أوقات ولادتها المُتكرِّرة. مباركةٌ هي هذه الأُم بين الأُمهات، لقد ظلَّت سعيدةً مع حرمانها من أبنائها. فقد جلب لها إيمانها تلك البركة العظيمة: أن تهاجر في يومٍ واحد مع كلِّ نسلها إلى مجد الملكوت السماوي!

فانتبهوا إلى قول الإنجيل بأنه ينبغي ألَّا نُفضِّل الوالدين أو الأبناء على المسيح (مت١٠: ٣٧). ولعلَّه يُعتَبَر أمرًا مجيدًا لو قدَّم إنسانٌ ابنًا واحدًا كذبيحةٍ لله. ولكن هذه الأُمّ فاقت على كل بقوة عزيمتها، لدرجة أنها – مع شدَّة آلامها – لم تسمح لعواطف حبِّها الأُمومي أن تحتفظ لنفسها ولو بواحدٍ من أبنائها!

ولاحظوا بالأكثر كيف ارتقى إيمانها الثمين في درجاتٍ متتالية في الفضيلة! فيكفي أن يرضى الإنسان مرةً واحدة بالاستشهاد، ولكن هذه المرأة بسبب حبِّها للربِّ، كرَّرت سبع مرات، بحرمانها الإرادي، تغلُّبها على حُبِّها الأُمومي. وقد كانت على درايةٍ تامةٍ بما كانت

(1) The Fathers of the Church, Vol. 17, p. 415.

على وشك أن تفعله، حيث إنها علمت أنَّ كلَّ نسلها كان عتيدًا أن يأخذ مكانه في تلك الحياة الأبديَّة حسب تقرير الإنجيل: «مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو ١٢: ٢٥).

(٢) نحن نعلم من العهد القديم أن أبانا إبراهيم قدَّم ابنه الوحيد إسحق كذبيحة ليكون تقدمة لله. والجميع على دراية جيِّدة أن هذا كان برهانًا على إيمانه الذي يستحقُّ كلَّ ذِكْرٍ صالح. ورغم أن المذبح لم يُبلَّل بالدم، لكن كانت في ذلك نُصرة لنيَّتِهِ المُستعدَّة. وأن يريد المرء أو أن يعمل، فالأمران متساويان في نظر الرب. وقد نادى الملاك إبراهيم قائلًا: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ! ... لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ» (تك ٢٢: ١١و١٢).

فإن كان أبونا إبراهيم قد قدَّم ابنًا واحدًا كذبيحة وأرضى الله، فكم بالأكثر تكون تلك الأُم قد أرضته! ففي مرَّة واحدة، قدَّمت أبناءها السبعة ذبيحة لله مع صلواتٍ مُعبِّرةً شدَّة اشتياقها. ثم قدَّمت نفسها كذبيحة ثامنة. وكنتيجة لذلك، أَلَا تُعتَبَر هذه التي أرشدت هؤلاء الرجال الشُّجعان السبعة وشجَّعتهم على الحصول على المجد السماوي، أَلَا تُعتَبَر هي نفسها مثالاً خارقًا للفضيلة؟!

وإذا رغبتم، أيها الأحبَّاء، فدعونا نتذكَّر تفاصيل ذلك الصراع واحدًا فواحد. وبذلك فإنَّ الوالدين سيتعلَّمون كيف يحبُّون أبناءهم، والأبناء كيف يُطيعون والديهم. فينبغي أن يُعطي الجميع الأهمية العظمى لحُبُّ مسيحنا الذي يُعدُّ أكاليل حياة متألِّقة بجمالٍ سماوي للذين يُصارعون في نضالٍ مجيد ويربحون. وهكذا يُقرِّر الرب قائلاً: «كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» (رؤ ٢: ١٠).

انظروا، يا أحبَّائي، كم يُعلِّمنا التأمل في ذلك العمل البارع. فإنَّ الاهتمام بحفظ النواميس المُسلَّمة من الأجداد، يُفرِّق بين المُنحازين لله القدير والمُنحازين للشيطان.

لقد كانت هناك آلات مُعدَّة للتعذيب بكثرة بل وبلا عدد. وبمثل هذه كان رئيس الشر مُعتادًا أن ينشر شرَّه المسموم. ولكن رغم أنه يصبُّ غضبه العدائي بشراسة على المُنحازين للبرِّ، فإنهم لا يُظهرون أيَّ ارتعابٍ في الصراع. وإزاء ذلك فإنَّ مُخترع الشرور وعدوَّ كلِّ خير يستعمل خطةً أكثر دهاءً لكي يُثني شجاعتهم. إنه يُحرِّك أسلحة شرِّه ضدَّ

كلَّ واحدٍ منهم على انفراد، وحسب عادته يرتِّب أن يُقاتل كلًّا منهم قتالًا فرديًّا. فإنه يظنُّ أنه بمجرَّد أن يُثير الرَّوع في جماعةٍ من الإخوة، فإنهم سيتفرَّقون، وحينئذ يمكنه إرعابهم بسهولة. كان يظنُّ أنه إن كان الألم يتغلَّب على أيِّ واحدٍ منهم حينما يُقدَّم على انفرادٍ لامتحانه بالأوجاع، فإنَّ الجماعة كلها سوف تُغلَب بجهدٍ قليل من العدو.

(٣) مِنْ ثمَّ فإنَّ الأكبر فيهم اقتيد أولًا. وكانت فعاليات الشر الصاخبة وكل الأدوات المؤدِّية إلى الموت حوله من كلِّ جانب. ولم يكن التعذيب الذي قدَّمه العدو هيِّنًا أبدًا، إذ كان يظنُّ أنه إن غلب قائدهم في الفضيلة، فإنَّ المعركة كلها سوف تنتهي بسهولة لصالحه. ولكن كل خطط العدو الماهرة جدًّا فشلت مع قسوته الوحشيَّة؛ بل إنَّ الخِزي الذي يُصيب العدو يزداد كلما كان أتباعه كثيرين وقد انغلبوا أمام خصم واحد فقط، وهذه إشارة بيِّنة إلى جُبن العدو، إذ إنه ينغلب أمام رجلٍ واحد بالرغم من كثرة أنصار العدو.

فلمَّا أُهين هكذا كبرياء غضب هذا العدو رغم كل أنواع العذابات التي استعملها، أسرع بيديه المليئتين بالدم إلى سائر الإخوة واحدًا فواحد. ولكي يُثير فيهم الخوف من الموت، حَمَل لكلِّ واحدٍ منهم دم أخيه. وهكذا حاول بوسائل قسوته هذه أن يُثير فيهم الخوف من الموت. ولكنه كلَّما حاول أن يستثير فرصًا للانتصار على واحدٍ منهم، وجد نفسه مقهورًا بالفعل من آخر. فإنَّ إيمانهم جميعًا ظلَّ غير متزعزع، بل وقد تقوَّى تصميمهم بعذابات إخوتهم.

واندفع الأخ الثاني إلى الصراع. وبعد قليل تبعه الأخ الثالث. وهذان صارا مُكلَّلَين، ثم جاء الأخ الرابع. ولكن موتهم الرهيب لم يُفزع الخامس ولا السادس. لقد كان فيهم جميعًا إيمانٌ واحد وفضيلةٌ واحدة وعزيمةٌ واحدة مشتركة. وبالتالي كانوا يبدون وكأنهم جميعًا شخصٌ واحد، رغم أن الأذى كان يُصيبهم واحدًا فواحد. وهكذا كان جميع هؤلاء الإخوة، وهم مُتشجِّعون بمُشاركتهم في الانتصار المُشترك، يحفظون نواميس أسلافهم، وينالون – في نفس الوقت – مكافآت فضيلتهم المُتزايدة.

(٤) وأمَّا الأُمُّ، فقد أسرعت وسط صفوف الشهداء المُعذَّبين. لقد شملتها الرهبة حقًّا، ولكن ليس لأجل موت أبنائها، بل بسبب اشتياقها لأن ينتصروا. فعند تعذيب كلِّ واحدٍ منهم، كانت مُنشغلة لئلَّا يضعف إيمان أيِّ واحدٍ منهم، فينفصل عن جماعة القدِّيسين.

لأنه رغم تهديدات العدو، فقد بقيت الأُمُّ بالقرب من كلِّ ابن، مُشجِّعة إيَّاه باستمرا حتى لا يختلف في شيء عن بقيَّة إخوته.

إنهم حقًّا كانوا يتألَّمون كل منهم على حِدَة، ولكن أُمهم كانت تتألَّم مع كلِّ واحد منهم، وهي تتحمَّل العذاب مع كلِّ واحدٍ منهم في نفسها. فإذا أَخَذتَ في الاعتبار الآلام الشخصيَّة التي تحمَّلتها بسبب اهتمامها الأُمومي، ترى أنها ربحت نصيب الاستشهاد مُتكرِّرًا مع كلِّ واحدٍ من أبنائها.

والآن انظروا، فبعد أن ربح الإخوة كلَّ هذه الانتصارات، يتقدَّم العدو إلى الأخير الذي بسبب صِغَر سنِّه أعطاه أملًا في الانتصار عليه. إنه يُغريه بأنه أهلٌ للغِنَى والكرامة، ويظنُّ أن الأُمَّ سيمكن استمالتها بتحرير هذا الابن الأخير. ولكن نفسها البسيطة المُتجهة بكليتها نحو السماء، أبت أن تقبل مشورةً دنيوية. وفي وسط تشجيعات الأُمِّ، فإنَّ نفس الصبي الجسورة قد اشتعلت أكثر نحو قمة الفضيلة.

(٥) ما أعظمه مثالًا للفضيلة الراقية! فقد فرحت الأُمُّ بثكلها (أي فقدانها لأبنائها)، وحبُّها اشتعل أكثر في نفس السبب الذي جلب عليها فقدانهم. وبعد أن أرسلت أمامها حتى ذاك الابن الغضّ الذي أحبَّته بكلِّ حنان، دخلت هي نفسها في طريق ذلك الموت المجيد. وبعد أن تألَّمت لفترةٍ قصيرة بعذاباتٍ عديدة، تبعت أبناءها فيالنصرة. ولمَّا ازدرت بنور العالم الخافت، نالت برجائها الخيرات السماويَّة الأبديَّة.

وهكذا، أيها الأحبَّاء الأعزَّاء، إن كان لأيِّ أُمٍّ حرص بمحبَّةٍ على أبناء رَحِمها، فليتها تتشبَّه بالمثال الحيِّ الذي تركته تلك الأُم. وليت الذين سمعوا هذه العظة عنها، يتعلَّمون منها أنه ينبغي أن يحفظوا وصايا الربِّ حتى ينطلقوا نحو السماء.

وبالأكثر، ليت الذين يخدمون مسيحنا يتشبَّهون بجهاد هؤلاء الشُّجعان. لقد برهنت هذه الأُم أنها أحبَّت أبناءها حبًّا حقيقيًّا، لمَّا قدَّمتهم، وهم ثمرة بطنها، ذبائحَ لله، ثم قدَّمت نفسها هي أيضًا طواعيةً.

ولكي نحصل نحن على مُجازاة تلك الفضيلة السماويَّة، ينبغي أن نرفض عطايا وكرامات هذا العالم، تلك التي تخدع العيون البشرية بغرورها. فهذه هي بوضوح الذبيحة المقبولة لدى الرب: أن نُفضِّل كرامة السماء ونبدأ بازدراء العالم الحاضر.

قصة رمزيَّة
ذات مغزى

جبَّارٌ فَقَدَ قوَّته

✠✝✠

(١) الموت وسفيراه: المرض والشيخوخة

في عتَمَة اللَّيل، والنَّاس نيام، خرج "الجبَّار"، يَتبعه سفيراه الجليلان، في صَوْلَةٍ جديدةٍ من صَوَلاتِه. كان يتقدَّم في طريقه بخطواتٍ ثابتةٍ عارفةٍ تمامًا قِبْلَتَها، وهو ماسكٌ بشوكته المُخيفة التي يُطبِق بها على ضحاياه، ولا منقذ. ها هو يدخل دارًا، ثمَّ أخرى، ثمَّ ثالثة. أحيانًا يُرسل أمامه السفير الأوَّل، وأحيانًا أخرى السفير الثاني، وأحيانًا ثالثةً السفيرَين معًا. غَير أنَّه في بعض الحالات القليلة يختار دارًا ويدخلها فجأةً دون أن يَسبِقَه أيٌّ من سفيرَيه، وفي هذه الحالة تكون حالة أهل هذه الدار أكثر هَوْلًا وفزعًا لأنهم يُؤخَذون على حين غِرَّة دون سابق إنذار.

وفيما هم سائرون، توقَّفَ الجبَّار والتفت إلى سفيرَيْه، قائلًا لهما:

- اسمعا لي جيِّدًا! غدًا صباحًا تذهبان إلى دارِ شخصٍ يُدعَى "البعيد"، في غرب المدينة، وتُقيمان عنده إلى حين مجيئي في المساء. وبعد غدٍ، تتَّجهان نحو الشرق، وتذهبان إلى دار شخصٍ يُدعَى "القريب"، وتنتظراني هناك أيضًا إلى حين مجيئي في المساء. أفهمتما؟
- أمرك يا سيِّدنا.

✝✝✝

وصل السَّفيران الأمينان إلى دار "البعيد" صباحًا بحسب الموعد المُحدَّد، وطرقا الباب. وحالما فتح "البعيد" لهما الباب ورآهما، بدا عليه القلق والانزعاج، وكسا وجهَه العبوسُ والتَّجهُّمُ، وصرخ في وجهيهما غاضبًا:

- ما هذا؟ أنتما الاثنان معًا؟! أَمَا يكفينا واحدٌ؟ بِئْسَ هذا الصباح! يا لَها ساعةً مشؤومةً! اغربا عن وجهي! لا أريد رؤيتكما.

ثمَّ إنَّه نادى أهلَ دارِهِ، وتجمَّعوا جميعًا على عتبة الدَّار ليَحُولوا دُون دخول الضَّيفَين، ويُجبروهما على الانصراف.

- ها ها ها! ماذا تفعل أيُّها الأحمق؟ أتبغي طَرْدَنا؟ أتحاول مَنْعَنا من الدُّخول؟ أَلعلَّك تستطيع أن تُمسِكَ شعاعَ النُّور بيدك، أو تَصُرَّ الرِّيحَ في كفِّك؟

قال السَّفيران هذا، ودخلا الدَّارَ بكلِّ هدوءٍ، لا يمنعهما مانعٌ ولا يصدُّهما أحد، ثمَّ اتَّخذا مجلسيهما، وطفقا يعملان عملهما. أمَّا "البعيد" فأُسقِطَ في يدِهِ، وتَبِعَهما إلى داخل الدَّار، مُستسلمًا استسلام العاجز. وبعد مرور هجعتَين من اللَّيل، وجَّه الضَّيفان إليه التَّحذير الأخير:

- الوقت يفرُّ من بين يديك، وفرصتك الذَّهبيَّة قاربت على الضَّياع. نرجو كلَّ الرَّجاء أن تعودَ إلى رشدِك وتترك عنك حماقتك قبل فوات الأوان.
- بل إنِّي سأكون أحمقَ ساذَجًا إن صدَّقتُكما. أنتما كاذبان، مُخادعان.

نظر السَّفيران أحدهما إلى الآخر في أسفٍ وحزن، وأطرقا رأسَيهما يائسَين، وقد تيقَّنَا من مصير هذه الدَّار المُرعب. سادَ صمتٌ رهيبٌ على المكان، قبل أن يُسمع وقْعُ قدمَين تقتربان من باب الدَّار: إنَّه "الجبَّار". اقترب الصَّوتُ شيئًا فشيئًا، وبلغ مسامع كلِّ أهل الدَّار، فارتعدوا وتحيَّروا ولم يعلموا ماذا يفعلون! فالبعض يركض شمالًا، والبعض يعدو يمينًا. أخيرًا، تجمَّع الكلُّ حول السَّفيرَين مُرتعبين، وجثَوا على رُكَبِهم مُستعطفين، لكنَّ الأوان كان قد فات، ودخل الجبَّار بسطوةٍ وأنشب شوكته في "الغريب"، واختطفه من أهل بيته.

✞✞✞

في صبيحة اليوم التالي، كان السَّفيران في طريقهما إلى دار "القريب"، وكان الحزن لا يزال يخَيِّم عليهما بسبب ما جرى لد "بعيد".

- لا أظنُّ أن مصير "القريب" سيكون أفضل من "البعيد".
- وأنا كذلك. لقد بذلنا كلَّ ما في وسعنا دون طائل. هل تعلم ما أعجب شيءٍ في

موضوع "البعيد"؟

- ما هو؟
- إنَّه يخاف جدًّا من "الجبَّار"، ولكن رغم هذا الخوف، فإنَّه لا يعمل شيئًا ليستعدَّ للقائه.
- معك حقٌّ. عجيبٌ جدًّا هذا الخوف من "الجبَّار"! إنَّه خوفٌ يُقَسِّي القلب ويُعمي العين. إنَّه خوف العبوديَّة.

وهنا وصلا إلى الدار، وطَرَقَا بابها، وإذا بـ "القريب" يفتح لهما، وما إن رآهما حتى انفرجَت أساريره وأشرق وجهه، ودعاهما بكلِّ الترحاب للدخول:

- تفضَّلا، تفضلَّا، ما هذا الشرف العظيم!

نظر الضَّيفان أحدهما إلى الآخر في تعجُّبٍ وحَيرة. فما كانا ينتظران أبدًا مثل هذا الاستقبال. وبعد أن دخلا وجلسا، خاطباه قائلَين:

- لماذا نراك فَرِحًا هكذا؟ أتعرف مَنْ نكون؟ أتعلم رسولا مَنْ نحن؟
- بالطبع أعلم، أنتما رسولا مَعْبرِي إلى الحياة. أنتما سفيرا ربحي العظيم.

ازداد السَّفيران تعجُّبًا وحَيْرةً، فإنهما لم يسمعا من قبل مثل هذا الحديث عن سيِّدِهما. فهو مخوفٌ ومكروهٌ من الكلِّ، والجميع يتهرَّبون من الحديث عنه ويتحاشَون حتَّى التفكُّر فيه. فخاطباه أيضًا قائلَين:

- واضحٌ أنك لا تعلم شيئًا يا هذا. نحن رسولا "الجبَّار". نحن سفيرا ذاك الذي شوكته لا شفاء منها.
- ها ها ها. هذا قد عفا عليه الزَّمن، يا أصدقائي. هذا لا يخصُّني، يا أعزَّائي. فلا جبروته يُخيفني، ولا شوكته تَمَسُّني؛ بل إن كنتما ترومان الحقَّ، فلا هو بجبَّارٍ عندي، ولا أجد له شوكة.

تهامس السَّفيران معًا قائلَين: "ربَّما فَقَدَ عقله من فرط الخوف"! فما كان منه إلَّا أنْ أراهما جبهته، وإذا بخَتمٍ عجيبٍ مختومٍ عليها، فسألاه:

- ما هذا؟
- هذا خَتم الحياة، خَتم النصرة، خَتم الخلود.
- أهذا هو سرُّ ثقتك التي لم نَرَ مثلها من قبل؟

- نعم، إنَّه هو.

وعندئذٍ تنامَى لمسامعهم صوت خطوات "الجبَّار" تقترب. وعلى النقيض من "البعيد"، وُجِدَ "القريب" في حالة فرحٍ كامل وسرورٍ شامل، واتَّجه بنفسه نحو الباب وفتحه ليستقبل "الجبَّار" استقبال الصديق المُنتظَر. أمَّا "الجبَّار"، فيا لَدهشة سفيرَيه حينما رأياه لأول مرةٍ بدون شوكته، وقد فَقَدَ قوَّته وبطَلَت عزَّته.

اقترب "الجبَّار" من "القريب" لكي يمسك به؛ أمَّا هذا الأخير، فبدا وكأنَّه ينظر إلى آخر، ويُعانق آخر، ويُقبِّل آخر.

(٢) أين شوكتك يا موت؟

إنَّ الجبَّار هو الموت، وسفيرَيه الأمينَين هما "المرض" و"الشَّيخوخة"، ليس لأنَّهما يُذَكِّران به أو يُنذِران بقدومه فحسب، بل أيضًا لأنَّه كامنٌ داخلهما بنوعٍ ما. ففي المرض بعضُ الموت، وفي الشَّيخوخة الكثيرُ منه. لكنَّ الموت لم يَعُد أبدًا "جبَّارًا" بالنسبة لنا. لماذا؟ لأننا لم نَعُد بعد "بعيدين"، بل صرنا "قريبين" بدم المسيح: «وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ» (أف ٢: ١٣).

ربَّما يَسوغُ "للبعيدين" تقديم الحجج القويَّة والأعذار الوجيهة لخوفهم من الموت ونفورهم من سفيرَيه. فلا نَعيب كثيرًا على حَرَقيَّا الملك وهو يبكي بكاء الأطفال لمعرفته بقدومه[١]؛ ولا نلوم بشدَّة مَن يندب حظَّه لمجيء الشَّيخوخة[٢]. لكن في المقابل، لا يمكن تبرير مثل هذا الخوف لنا نحن "القريبين". فأولئك كانوا كلَّ أيَّام حياتهم تحت العبوديَّة خوفًا

(١) «فِي تِلْكَ الأَيَّامِ مَرِضَ حَزَقِيَّا لِلْمَوْتِ، فَجَاءَ إِلَيْهِ إِشَعْيَا بْنُ آمُوصَ النَّبِيُّ وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَوْصِ بَيْتَكَ لأَنَّكَ تَمُوتُ وَلَا تَعِيشُ. فَوَجَّهَ وَجْهَهُ إِلَى الْحَائِطِ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: آهِ يَا رَبُّ، اذْكُرْ كَيْفَ سِرْتُ أَمَامَكَ بِالأَمَانَةِ وَبِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَفَعَلْتُ الْحَسَنَ فِي عَيْنَيْكَ. وَبَكَى حَزَقِيَّا بُكَاءً عَظِيمًا» (٢مل ٢٠: ١-٣).

(٢) «فَاذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ، قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ الشَّرِّ، أَوْ تَجِيءَ السِّنُونَ إِذْ تَقُولُ: لَيْسَ لِي فِيهَا سُرُورٌ. قَبْلَ مَا تَظْلُمُ الشَّمْسُ وَالنُّورُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ، وَتَرْجِعُ السُّحُبُ بَعْدَ الْمَطَرِ. فِي يَوْمٍ يَتَزَعْزَعُ فِيهِ حَفَظَةُ الْبَيْتِ، وَتَتَلَوَّى رِجَالُ الْقُوَّةِ، وَتَبْطُلُ الطَّوَاحِنُ لأَنَّهَا قَلَّتْ، وَتُظْلِمُ النَّوَاظِرُ مِنَ الشَّبَابِيكِ. وَتُغْلَقُ الأَبْوَابُ فِي السُّوقِ. حِينَ يَنْخَفِضُ صَوْتُ الْمِطْحَنَةِ، وَيَقُومُ لِصَوْتِ الْعُصْفُورِ، وَتُحَطُّ كُلُّ بَنَاتِ الْغِنَاءِ. وَأَيْضًا يَخَافُونَ مِنَ الْعَالِي، وَفِي الطَّرِيقِ أَهْوَالٌ، وَاللَّوْزُ يُزْهِرُ، وَالْجُنْدُبُ يُسْتَثْقَلُ، وَالشَّهْوَةُ تَبْطُلُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ ذَاهِبٌ إِلَى بَيْتِهِ الأَبَدِيِّ، وَالنَّادِبُونَ يَطُوفُونَ فِي السُّوقِ. قَبْلَ مَا يَنْفَصِمُ حَبْلُ الْفِضَّةِ، أَوْ يَنْسَحِقُ كُوزُ الذَّهَبِ، أَوْ تَنْكَسِرُ الْجَرَّةُ عَلَى الْعَيْنِ، أَوْ تَنْقَصِفُ الْبَكَرَةُ عِنْدَ الْبِئْرِ». (جا ١٢: ١-٦).

من الموت[٣]، أمَّا نحن فقد عَتَقَنا المسيح مخلِّصُنا تمامًا من هذه العبوديَّة[٤].

أولئك كان المرض بالنِّسبة لهم مصدرَ شؤمٍ ولعنةٍ[٥]؛ أمَّا لنا نحن فسبب سرورٍ وفخرٍ: «فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي» (٢كو ١٢: ٩). أولئك كانت الشَّيخوخة بالنِّسبة لهم إيذانًا بقُرب الهاوية المُظلمة[٦]؛ أمَّا لنا نحن فبُشرَى بنقضِ خيمةٍ حقيرةٍ وسُكنى بيتٍ عظيم: «لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الْأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ أَبَدِيٌّ» (٢كو ٥: ١).

فما بالُنا نخافُ الموتَ وكأنَّه لا يزال جبَّارًا، ونخشى سفيرَيه الأمينَين: المرض والشَّيخوخة، وكأنَّهما نذيرا شرٍّ؟ ألَعلَّنا رجَعنا القَهقرَى إلى ما قبل المسيح، أمِ اكتفينا مع اليهود بمشهد الصليب دون أن نركض مع المريمات إلى القبر الفارغ؟ فإنْ كان المسيح قد صُلِبَ من ضعفٍ، إلَّا أنَّه قد قام بقوَّة الله[٧]؛ وإنْ كان قد مات، فبعد قيامته لا يسود عليه الموت بعد[٨].

نعم، لقد كان ميتًا، لكنَّه ها هو يحيا إلى أبد الآبدين[٩]. فلنحذر شديدَ الحذر، لأنَّنا بخوفنا من الموت نُفَرِّط في الكنز العظيم الَّذي وُهِبَ لنا. فلقد اشترك رئيسُ الخلاص نفسُه في اللَّحم والدَّم، ودعانا إخوته، وكُمِّلَ بالآلام، وذاق الموت، ثمَّ قام مُظَفَّرًا، لكي يُعتِقَنا من عبوديَّة الخوف من الموت[١٠].

فإن كنَّا نريد، إذًا، أنْ نُرضِيَ قلبَ حبيبنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، رئيسِ الخلاص ورئيسِ الإيمان، فلنَقْبلْ خلاصه، ولنؤمنْ بما صنعه لأجلنا، فنصرخ حينئذٍ صرخةَ الرَّجاء مع النَّبيّ ونصيح صَيْحةَ اليقين مع الرَّسول: «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (هو ١٣: ١٤؛ ١كو ١٥: ٥٥)؟ ولنقُلْ بملء اليقين: «إِنْ سَلَكْتُ فِي وَسَطِ ظِلِّ الْمَوْتِ فَلَا أَخَافُ شَرًّا،

---

(٣) انظر: عب ٢: ١٥.
(٤) انظر: عب ٢: ١٤.
(٥) انظر: تث ٢٨: ٢١، ٢٢.
(٦) انظر: أي ١٠: ٢١؛ مز ٤٩: ١٩.
(٧) انظر: ٢كو ١٣: ٤.
(٨) انظر: رو ٦: ٩.
(٩) انظر: رؤ ١: ١٨.
(١٠) انظر: عب ٢: ٩-١٥.

لِأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي» (مز ٢٢: ٤س). أمَّا هذا القَبول، وهذا الإيمان، فليسا هما في أعالي السَّماء ولا في أسافل الهاوية[١١]، بل هما أقرب إلينا ممَّا نتصوَّر: «الكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» (رو ١٠: ٨)، النِّعمة الَّتي نبحث عنها ونتوق إليها وكأنَّها بعيدة المنال، نحن، في الحقيقة، فيها مقيمون[١٢].

لكنَّ الحاصل هو أنَّنا حينما نعتاد النِّعمة نفقدها! تُصبح وكأنَّها شيءٌ عاديٌّ! وكأنَّ الله كان مُضطرًّا أن يصنع ما صنع! وكأنَّنا كنَّا مستحِقِّين لكلِّ ما جازه من أهوال! هنا يلزمنا أن نَقِفَ ونُعيد جميع حساباتنا. لا بدَّ أن نكون في ذهول على الدَّوام أمام ما صنعه الرب من أجلنا. لا بدَّ أن نتساءل ليلَ نهارَ، دون توقُّف: «بِمَاذَا أُكَافِئُ الرَّبَّ عَنْ كُلِّ مَا كَافَأَنِي بِهِ؟» (مز ١١٥: ٣ س).

لا بدَّ أن نقف مبهوتين حيارَى، لا نعرف ماذا نفعل إزاء صنيعِهِ لأجلنا. وعندئذٍ ندخل في "السِّرِّ" المهيب العظيم الَّذي استؤمن عليه الرَّسول العظيم. وما هو؟ إنَّنا، نحن الحقيرين، شركاء في الميراث وشركاء في الجسد وشركاء في نَيْل موعد الحياة الأبديَّة[١٣].

---

(١١) انظر: رو ١٠: ٦-٧.
(١٢) انظر: رو ٥: ٢.
(١٣) انظر: أف ٣: ٤-٦.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **ترجمة: الراهب إيرينيئوس المقاري**

الأعمال الكاملة للقدِّيس أنبا مقار

عظات القديس أنبا مقار الكبير

المجموعة الثالثة

عن الأصل اليوناني

مع فهرس آيات عظات المجموعة الثالثة

والكتاب ٢٤٠ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

الخدمة شهادة محبَّة للمسيح

● **«أَتُحِبُّنِي؟ ... ارْعَ غَنَمِي» (يو ٢١: ١٦).**

تمهيد:

لَعَلَّنا جميعًا نَقدِر أنْ نَلمَح شهادة الربِّ يسوع عن الوصيَّة العُظمى في الناموس كلِّه، وتكريمه لها، والتي أَفصَح بها السيِّد، للناموسي الذي جاء إليه ليُجَرِّبه، بسؤاله عن أعظم الوصايا؛ وذلك في مَعرِض إجابة الربِّ الشاملة للرجل بكلمات الوَحي القائل: «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ» (مت ٢٢: ٣٧-٤٠). كذلك، بعد قيامة الربِّ بالجَسد من بين الأموات، سأل الربُّ يسوع تلميذه بطرس الرسول قائلًا: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟... ارْعَ غَنَمِي» (يو ٢١: ١٥-١٧). فمِمَّا سبق، يُمكننا أنْ نُلاحظ أمْرَين هامَّين: **الأمر الأول:** إنَّ الربَّ قد ساوى ما بين محبَّتنا الكاملة له كإله، وبين محبَّتنا للقريب (لأيِّ إنسان)، وذلك حين قال: **«والثانية مثلها»! والأمر الثاني:** إنَّ شهادة محبَّتنا للربِّ تَتَجلَّى في محبَّتنا وخدمتنا ورعايتنا لخرافه: "ارعَ خرافي" (أي البَشر الذين فداهم المسيح، وصِرنا مسؤولين عن رعايتهم وخدمتهم). فالخدمة هنا، قد صارت هي التعبير الكامل والمُباشر عن كمال محبَّتنا لله، ومحبَّتنا للقريب، بآنٍ واحد.

ولا شكَّ أنَّنا نُدرِك أنَّ حديث الربِّ لم يَكن مُوَجَّهًا وقاصرًا على الرجل الناموسي فقط، ولا على بطرس الرسول وحده؛ بل إنَّ الربَّ يسوع كان يُخاطب الجميع، ويَدعوهم للقيام بالخِدمة والعطاء، شهادة لِمحبَّتهم له، واستعلانًا لهم أمام العالم بِكَونهم تلاميذ الربِّ، وبُرهانًا على أمانتهم لهذه التَّلمَذه بحَملهم الصليب والسَّير وراءه بكلِّ حُبٍّ حتى الموت، لأنَّ الخدمة تَلمَذةٌ للربِّ، وتَمثُّلٌ به حتى الصليب. فنحن جميعًا مدعوُّون للخدمة، بعد ما امتلأنا من روح المسيح ونعمته، لنكون شهودًا لله عن هذا الحُبِّ، من قِبَل خِدمتنا وعطائنا وبَذلِنا ومحبَّتنا لِمَنْ فداهم المسيح معنا، ومِن أجل كلِّ إنسانٍ في العالم كلِّه أيضًا.

عمل خادم المسيح ورسالته:

يَلزم في البداية، أنْ يُدرِك الخادم أنَّ عَمل خدمته هو عَطيَّة وهِبَة من الله، أعطاها له ليَعمل معه وبه، دون أن يكون هو أهلًا لذلك، وأنَّ عمله الأساسي هو الشهادة للمسيح الذي أرسله. ويُوَضِّح لنا الرسول بولس هذا الأمر بقوله: «لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ» (٢كو ٣: ٥). وكذلك على الخادم أنْ يُدرِك أنَّه يَخدُم المسيح، وبحسب ما أعطاه الروح. فإن كان أمينًا فيما قد صار له مِن مسؤوليَّة وأمانة وعمل خدمة، فسوف يكون مُستَحِقًّا أن يَتواجد مع سيِّده في ملكوته، حَسب وَعده المُبهِج القائل: «وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي» (يو ١٢: ٢٦)، وأيضًا كما كان بولس الرسول يُنهِض همَّة تلميذه تيموثاوس، ويُشَجِّعه في خدمته بقوله: «اعْمَلْ عَمَلَ الْمُبَشِّرِ. تَمِّمْ خِدْمَتَكَ» (٢تي ٤: ٥)، وكما يُذكِّر تلميذه أرخِبُّس كذلك بأنَّ ما يَعمله هو تكليفٌ من الربِّ نفسه، فيقول له: «انْظُرْ إِلَى الْخِدْمَةِ الَّتِي قَبِلْتَهَا فِي الرَّبِّ لِكَيْ تُتَمِّمَهَا» (كو ٤: ١٧)، ويكتب الرسول أيضًا لأهل كولوسي: «لأَنَّكُمْ تَخْدِمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ» (كو ٣: ٢٤)، وانظر أيضًا: (رو١٥: ١٦).

الملامح الأساسيَّة لخادم المسيح:

١ - **أنْ يكون حكيمًا، وكلامه مُصلَحًا بالنعمة:** يقول لنا الروح القدس في الكتاب المقدَّس عن الخادم، إنَّه يَجب أن يكون حكيمًا وماهرًا في رِبح النفوس: «رَابِحُ النُّفُوسِ حَكِيمٌ» (أم ١١: ٣٠). وهذا الأمر لن يَتَأتَّى إن لم يكن خادم المسيح دارسًا وحكيمًا بحِكمة الروح، وأن يكون كلامه مُصلَحًا بمِلح النعمة، بأقوال الله وتعاليم سيِّده المسيح؛ بل أنْ يكون هو كلُّه مثل المِلح الذي يُعطي للتعليم مذاقه الروحي، المُستَنِد على شِبعه هو أولًا من غذاء الروح الذي ناله من اجتراره الدائم لكلام الله، ومن اختباره الشخصي له في حياته، وأيضًا من أقوال وتعاليم الكنيسة وآبائها، وحينئذٍ سَيَجد الخادم قبولًا لصوت الروح المنطوق على لسانه، كما يقول مُعلِّمنا بولس الرسول: «لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلَحًا بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ» (كو ٤: ٦)، ولا ننسى قول الربِّ يسوع: «أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ» (مت ٥: ١٣). كما يجب ألَّا ننسى أنه يجب أن نصير خِدمة الخادم بالحقِّ، خدمة المُصالحة، لأنَّ الروح سيعمل بواسطتها عمل النعمة والقبول والمُصالحة، كما يقول بولس الرسول بالروح: «وَلكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ» (٢كو ٥: ١٨).

٢ - **أن يحيا ويسلك كَنورٍ في العالم:** فكما قال الربُّ يسوع: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» (يو ٨: ١٢)، فقد قال أيضًا: «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» (مت ٥: ١٤).

لذلك صار من الضروري أن **يَعكس الخادم نور المسيح** الواقع عليه، ليُنير للآخرين أيضًا، فيكون هو **شاهدًا لهذا النور** لمَن يَخدمهم **بتعاليمه الإنجيليَّة الصحيحة، وسلوكِه المقدَّس** المُطابِق لتعاليم سيِّده ووصاياه.

٣ - **أن يَسعى كَسفيرٍ لله بين الناس:** على الخادم أن يُدرِك أنَّه سفيرٌ ورسولٌ عن المسيح، في كلِّ مكان، وبين جميع الناس الذين يتعامل معهم، وأنَّ عليه **أن يَجول يَصنع خيرًا** بينهم كَسيِّده، وأن **يكون سفيرًا فاعلًا لنَشر ملكوت الله** وتَمجيد إلهه؛ وذلك بشهادته بكلام الله (مُرسِله) بكلِّ مُجاهرة وحِكمة، واستعداده للبذل والعطاء للجميع بكلِّ الحُبِّ، والتحَدُّث أمام الجميع عن خلاص الله العظيم الذي نلناه، بكلِّ وداعة وخوف، مُتَذكِّرًا كلمات بولس الرسول بالروح: «نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا» (٢كو ٥: ٢٠).

٤ - **أن يكون رائحة المسيح الذكيَّة بين الناس:** وذلك باجتهاده بأن **يَسلك في كلِّ عملٍ صالح**، وأن يَحرِص على أن يكون سلوكه وحياته رسالةً حيَّةً «مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ» (٢كو ٣: ٢)، بدون كثرةِ وعظٍ أو حِكمة كلامٍ بَشَريٍّ، بل بسيرة طاهرة نَقيَّة تُمَجِّد الله، وتُظهِر رائحة المسيح الذكيَّة في كلِّ أعماله وتصرُّفاته، كما يقول بولس الرسول بالروح: «**لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةُ للهِ**» (٢كو ٢: ١٥).

٥ - **أن يكون كَالخميرة الجَيِّدة:** على الخادم أن يَعي ويُدرِك مسؤوليَّته عن غَرس تعاليم المسيح المُحييَّة، وزَرعها في قلوب سامعيه، وأنَّ عليه أن يكون سبب بَركة وبِناء لمَن يَخدمهم. فخطورة هذه المسؤوليَّة **تَحَتِّم عليه أن يَفحص تعاليمه ويُنَقِّيها باستمرار** بدراسة الكتاب المقدَّس، ودراسة أقوال الآباء، والصلاة الدائمة، وطلب المعونة والارشاد مِمَّنْ هم أكبر منه، ومِن الله نفسه أولًا؛ لأنَّ التعليم الصحيح الذي يُقدِّمه هو سيكون بمثابة الخميرة للعجين. فإن كان التعليم صحيحًا أثمر ثمرًا كثيرًا جيِّدًا؛ وإن كان مَعيبًا، صار **كالخميرة الفاسدة**، وتَسَبَّبَ في عَثرة مَخدوميه. فعليه، إذن، أن يُجاهد ليَبني نفسه روحيًّا على صخرةٍ إيمانيَّة صحيحة، ليكون كمثل الخميرة الجَيِّدة القادرة أن تُخمِّر العجين كلَّه لأجل مجدِ الله.

السِّمَات الضرورية لسلوكيَّات الخادم:

رغم أنَّ الدعوة للخدمة هي للجميع، إلَّا أنَّ هناك سِمَاتٍ هامة لا بدَّ من توافُرها في سلوكيَّات خادم المسيح، حتى يكون خادمًا حقيقيًّا وفاعلًا في خِدمته، وحتى يَقدر – بنعمة الروح القدس – أن يُثمِر في هذه الخدمة، ويكون سببًا في خلاص النفوس، وخلاص نفسه أيضًا. فالربُّ يقول: «لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ» (مت ٢٢: ١٤). لذلك فعلى الخادم أن يَتَحلَّى ببعض الصفات الهامة، ويَقتنيها لبناء نفسه ونجاح خدمته.

ويمكن تلخيص هذه الصفات فيما يلي:

- **روح الوداعة:** على الخادم أن يَقتني روح الوداعة واللُّطف في سلوكه وحياته وخدمته، كما يقول مُعلِّمنا بطرس الرسول بالروح: «مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ» (١بط ٣: ١٥)، وكذلك يكتب بولس الرسول بالروح: «مُؤَدِّبًا **بِالْوَدَاعَةِ** الْمُقَاوِمِينَ» (٢تي ٢: ٢٥)، وأيضًا يؤكِّد القدِّيس بولس الرسول على ضرورة السلوك بوداعة – حتى في التَّوجيه والإصلاح – إذ يقول: «فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ» (غل ٦: ١).
- **روح الشَّفَقة والتَّرفُّق:** على الخادم أن يسلك بروح الشَّفقة والتَّرفُّق مع مخدوميه، وأن يَمتلك أحشاء رحمةٍ وطول أناة نَحوهم، فلا يَقسو على أحدٍ، ولا يَتَعَجَّل في تأديبهم، بل يبذل أقصى طاقة له لرأب صدع نفوسهم، وإصلاح أحوالهم، كما يقول الروح عن الربِّ يسوع: «قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ. وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ» (مت ١٢: ١٠)، وأيضًا يقول بولس الرسول بالروح: «وَعَبْدُ الرَّبِّ لَا يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ» (٢تي ٢: ٢٤).
- **روح البَذل والمحبَّة والعطاء:** يقول الربُّ يسوع: «... أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مت ٢٠: ٢٨)؛ وهكذا خادم المسيح، عليه أن يكون مُهيَّئًا أن يَبذل نفسه لأجل خلاص مَن يَخدمهم، كما يقول بولس الرسول بالروح: «فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ» (رو ٩: ٣)، لأنَّ هذا الإحساس ، وهذه الروح المُلتَهِبة بشَوق نحو خلاص نفوس المخدومين؛ تكون مُكَرَّمة جدًّا أمام الله، فَتنسَكِب أحشاء رحمة إلهنا واستجابته لها مقابل هذا الحُبِّ العظيم.

- **روح الاتِّضاع وإنكار الذات**: يَصرخ القدِّيس بولس الرسول بكلِّ اتِّضاعٍ قائلًا: «وَلكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا، وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً» (١كو ١٥: ١٠). كما يذكر لنا سِفْر أعمال الرُّسُل عن لسان بولس الرسول أيضًا قولَه: «كَيْفَ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ الزَّمَانِ، أَخْدِمُ الرَّبَّ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ» (أع ٢٠: ١٩)، ويؤكِّد بولس الرسول شهادته بقوله: « لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا» (٢كو ٣: ٥). فلا بدَّ، إذن، لخادم المسيح أن يَشعر كلَّ حين أنَّ فَضلَ القوَّة التي يَعمل بها هو لله، وأنَّه ليس شيئًا، بل العامل فيه وبه هو الله؛ حينئذٍ ينال نعمةً وتؤازره قوَّة الله، فيَنجح ويُثمِر لمجد الله. ولكن إن استَكبَر وحادَ عن طريق الاتِّضاع، ناسيًا خدمة غَسْل الأرجل التي علَّمه إيَّاها سيِّدُه المسيح، وابتعد عن روح اختيار المُتَّكأ الأخير؛ فَسَوفَ يَسقط، ويَضيع كلُّ تعبه باطلًا.
- **روح الصلاة والانسكاب أمام الله**: بدون الصلاة والرُّكَب المُنحنية لن تَنجح الخدمة، وباطلًا نَسعى. فأيُّ عملٍ يَعمله الخادم عليه أن يبدأه بالصلاة وطلب معونة الله وإرشاده، لأنَّه ملعونٌ مَن يَتَّكِل على ذراع بَشَر، أو يَثق في قُدرته الشَخصيَّة ومواهبه في إنجاز خِدمته وعمله الروحي، إذ ليس هو صاحب الكَرم، بل هو مَدعوٌّ للعمل فيه بنعمة المسيح. لذلك فعدم الالتجاء إلى الله، والاتِّضاع والصلاة وطلب المعونة مِن الله – صاحب الكَرْم نفسه – سوف يُفشِل خدمته، ولن يَقدر أن يُحقِّق شيئًا أو يَجني ثَمرًا. فالصلاة هي مفتاح النجاح في الخدمة، وتمجيد الله، وسرُّ خلاص نفس الخادم ونفوس المخدومين.
- **روح الشهادة والأمانة للتعليم الصحيح**: من المهم للخادم أن يَتَّسِق كلامه مع تعاليم الكنيسة وآبائها، مدعومًا بكلمات الروح القدس ووصايا الإنجيل نفسه، مُدقِّقًا في تعليمه، وذلك بكلِّ روح الهدوء والوداعة، لكي يُعطي الفرصة لعمل الروح القدس الخفي لكي يَعمل ويُثمر في قلوب المخدومين؛ وذلك مثل آبائنا الرُّسُل البسطاء المملوئين مِن نِعمة الروح القدس، الذين قيل عنهم: « لَا قَوْلَ وَلَا كَلَامَ. (الذين) لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ» (مز ١٩: ٣،٤). ولا شكَّ أنَّ هذا الأمر يُلزِمه بالاجتهاد والمُثابرة في دراسة الكتاب المقدَّس، ومُمارسة الأسرار المقدَّسة بلا فتور، ليكون مثالًا للخادم الأمين، وتكون حياته مثالًا حيًّا مُطابِقًا لِمَا يُعلِّم به؛ فيكون نموذجًا وقُدوة حَسنة تليق بخادم المسيح الأمين، حتى تُثمِر خدمته ثلاثين وستين ومائة.

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال طاعة إرادته[١]

(٢١)

١ – الفضيلة الجوهريَّة: الإيمان:

وفقًا للَّاهوت الأرثوذكسي، معرفة الله ترتبط بطريقة مباشرة بالفضائل، والتي يأتي الإيمان في مقدِّمتها. في الواقع، فإنَّ الأب جوستين بوبوفيتش Fr. Justin Popovich عالِم اللاهوت الأرثوذكسي المشهور يوضِّح ذلك بقوله:

”إنَّنا كلَّما تقدَّمنا في الفضائل، فإنَّنا نستمر في الانتقال إلى أشكالٍ أعلى وأعلى مِن الفهم في معرفتنا بالله“.

يشهد الشيخ بورفيريوس Porphyrios لهذه الحقيقة عندما يكتب:

”إلى أولئك المُتخوِّفين، والشكَّاكين، والذين يستخدمون فقط كفاءة العقل وقوَّته، وهم غير منفتحين على الله؛ فإنَّ الله لن يُظهِر نفسه لهم.

الله لا يَدخل نفوسًا مغلقة، لا يفرض الدخول عُنْوَة؛ بل على النقيض، فلهؤلاء الذين لديهم إيمان راسخ وبسيط، يُظهِر الله نفسه ويمنحهم نوره غير المخلوق، وهو يُعطيه لهم بكثرة في هذه الحياة وأكثر بكثير جدًّا في الحياة القادمة الأبديَّة“[٢].

يُشير الأب جوستين بوبوفيتش Fr. Justin Popovich إلى الإيمان كفضيلة أوَّلية ضرورية لاكتساب الفضائل الأخرى، ويؤكِّد هذا عندما يكتب:

”الإيمان يحمل داخله، ليس فقط مبدأه وجوهره، لكن مبدأ وجوهر كلِّ الفضائل الأخرى؛ وينمو الواحد مِن خلال الآخر، ويُحيط الواحد بالآخر مثل

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy.*

(2) *Wounded by Love.* Elder Porphyrios. Denise Harvey Publ. Evia. Greece. 2005.

الحلقات السنويَّة للشَّجرة"[٣].

هذه الكلمات تعكس ما كتبه الرسول بطرس:

«وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ – قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً. لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لَا مُتَكَاسِلِينَ وَلَا غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢بط ١: ٥ – ٨).

القدِّيس مار إسحق السرياني St. Isaac the Syrian لا يتردَّد أن يدعو الإيمان: "باب الأسرار"، فيقول:

[الإيمان بابٌ للأسرار، ومِثلما تكون العين الجسديَّة للأشياء الحسيَّة، هكذا الإيمان بالنسبة لعيون العقل التي تُحدِّق في الكنوز الخفيَّة. حتى ولو كان لدينا عينان جَسديَّتان، فنحن نمتلك عينين للروح ... ومع ذلك، ليس لدى الاثنتين نفس العملية مع وجهة نظر للرؤية الإلهيَّة. بواحدة نرى بها المجد الخفي لله المختفي في طبائع الأشياء ... وبالأُخْرى نرى مجد طبيعته المقدَّسة. وعندما سُرَّ الله أنْ يسمح لنا بمعرفة الأسرار الروحيَّة، فإنَّه يفتح باب الإيمان على مصراعيه في أذهاننا].

لهذا فالإيمان هو الفضيلة الأوليَّة والجوهريَّة في معرفة الله، وبحسب كلمات القدِّيس بولس: «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا» (رو ١: ١٧).

٢ – النُّسْك:

الإيمان يحتاج أنْ يُصطحب بالنُّسْك. نحن نقصد بالنُّسْك التداريب أو المُمارسات الروحيَّة التي تُدرِّب وتُعِدُّ الجسد والعقل والرُّوح، لتستقبل الله. كَتَب القدِّيس بولس الرسول إلى تيموثاوس: «رَوِّضْ نَفْسَكَ لِلتَّقْوَى» (١تي ٤: ٧). فالهدف من النُّسك هو تدريب وتمرين للروح حتى يمكن للشخص أنْ يتغلَّب على أهوائه، وإذ يفرغ مِن الكبرياء، يمكن للروح القدس أنْ يتَّخذ له مقرًّا بداخله. النُّسك هو زراعة العقل والروح حتى يصبحا منفتحيَن ومستعدَّين لاستقبال بذور كلمة الله، وأنْ يحملا ثمرًا بوفرة لمجد الله. بدون الحرث

(3) J. Popovich. *Orthodox Faith and Life with Christ.* Translated by A. Gerostergios. IBMG Publishers. Belmont, MA. 2005.

المناسب والزراعة خلال النُّسْك، فإنَّ البذور تسقط على أرضٍ صلبة وتفشل في أنْ تمدَّ جذورًا. النُّسك هو زراعة التربة، أي الروح، لأجل استقبالٍ مُثمر لله ولكلمته.

الأب جون كريسافجيس Fr. John Chryssavgis يُحدِّد مُمارسة النُّسك بشكلٍ عمليٍّ للغاية عندما يكتب:

"المحتَوَى الأساسي للصوم، هو أنْ تبقى حُرًّا لتتغذَّى على كلمة الله بدون تشتُّت. المعنى الداخلي للصَّمت، هو أنْ تسمع كلمة الله عينها. والسَّبب الأعمق للسَّهر، هو أنْ تتوقَّع باستمرار وباشتياق مجيء العريس في منتصف الليل(انظر: مت ٢٥ : ١ - ٣)"[٤].

القدِّيس مرقص النَّاسك St. Mark the Ascetic في رسالته لهؤلاء الذين يعتقدون أنَّهم ينالون البِر بالأعمال، يشرح أنَّ النِّعمة تتعارَض مع الاستحقاق، لكنَّها لا تتعارَض مع الاجتهاد. ويكتب أنَّ ملكوت الله ليس مكافأة للأعمال، لكنه هِبَة النِّعمة والمُعدَّة من السيِّد لعبيده المُخْلِصين. السماء مكانٌ مُعَدٌّ للناس المُستعدِّين.

قالت أمَّا سينكليتيكا Amma Syncletica :

"توجد في البداية معارك كثيرة وعظيمة وقدرٌ كبيرٌ مِن المُعاناة لأولئك الذين يتقدَّمون نحو الله، وما بعد ذلك فرحٌ لا يوصف. إنَّه مثل أولئك الذين يرغبون أنْ يُشعلوا النيران، فإنَّهم يختنقون أولًا بالدخان فيصرخون، وبهذه الطَّريقة ينالون ما يسعون إليه (كما قيل: "إنَّ إلهنا نارٌ آكلة"). لذلك يلزم أنْ نُضرم النار الإلهيَّة في أنفسنا مِن خلال الدموع والعمل الشاق".

٣ - نقاوة القلب (KATHARSIS) مِن خلال التَّوبة:

واحدة من ثمار النُّسْك هي نقاوة القلب، هذه التي بدونها لن يُعاين أحدٌ الرب. لا يمكن لأحد أن يعرف الله بدون نقاوة القلب.

قال الرَّب يسوع: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ». ويكتب يوحنا الرسول ويقول: «وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ

(4) John Chryssavgis. *Beyond the Shattered Image*. Light and Life Publ. Co. Minneapolis, MN. 2007.

الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلَا يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلَّا تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ» (يو ٣: ١٩، ٢٠).

عندما نسمح للربِّ يسوع أن يُنقِّينا من خطايانا، هنا فقط تسقط القشور مِن أعيننا ونبدأ أنْ نرى الله في يسوع. يقول القدِّيس يوحنا الدَّرَجي (السُّلَّمي) St. John Climacus :

[النَّقاء هو أساس وأصل اللاهوت ... مَن يقتني نقاوة القلب يصير عالِم لاهوت، الذي هو نفسه يُمْسِك بمبادئ الثالوث].

أنقياء القلب يُعاينون الله، وأيُّ شيء يُلوِّث النقاء يُفسد الرؤية. أحد الشروط الأساسيَّة لمعرفة الله هو التوبة والاعتراف، الاثنان معًا هدفهما نقاء النَّفس. هؤلاء الذين يعيشون في الخطية لا يريدون أنْ يعرفوا الله، فهُم يهربون مِن حضوره لئلا يفضح نوره عتمتهم.

كتب القدِّيس غريغوريوس النزينزى St. Gregory of Nazianzen يقول:

[إنَّه لشيءٌ عظيم أن تتحدَّث عن الله، لكن الأفضل أنْ تُنقِّي نفسك لله].

ويُضيف القدِّيس أثناسيوس St. Athanasius على ذلك ويقول:

[لأجل البحث في الكُتُب المقدَّسة والمعرفة الحقيقيَّة لها، فإنَّنا نحتاج إلى حياةٍ كريمة، ونفسٍ نقيَّة، وتلك الفضيلة التي حسب المسيح؛ حتى يمكن للعقل وهو يهدي طريقه بها، ربَّما يمكنه الحصول على ما يرغب به، وليفهمه، بقدر ما يمكن للطبيعة البشرية إلى ما يمكن تعلُّمه بخصوص كلمة الله، لأنَّه بدون عقل نقي ونموذج حياة مِن قِبَل القدِّيسين، لا يمكن للإنسان أنْ يفهم كلام القدِّيسين].

يكتب تيتو كوليأندر Tito Colliander في كتابه الكلاسيكي "طريق النُّسَّاك Way of the Ascetic":

"يقول الآباء القدِّيسون: هل تعتقد حقًّا أنَّه يمكنك ملء جَرَّة بالماء النَّظيف قبل أنْ يتمَّ إفراغ الماء القديم العَطِن؟ ... كلَّا، مَن يريد أنْ يرى الرب كما هو، عليه أنْ يتطهَّر كما يقول الرَّسول يوحنا"[٥].

تذكَّر ما قاله باسكال Pascal ذات مرَّة: "إذا كنتَ إلى الآن غير قادر على الإيمان، فقلِّل من أهوائك". بالنِّسبة لباسكال، فإنَّ الأهواء هي عوائق للإيمان. إنَّها تسيطر على الشخص وتتحكَّم في

(5) *Way of the Ascetics.* St. Vladimir's Press. Crestwood, NY. 1960.

قواه العقليَّة. هذا يشرح لماذا كان آباء الصحراء وآباء الفيلوكاليا *Philokalia* يؤكِّدون على ضرورة تنقية الأهواء بالصَّوم، بالصلاة، وبالصَّمت. النقاء الداخلي يودي إلى الاستنارة. يمكن معرفة الله مِن خلال نقاوة القلب. فقط: «أنقياء القلب (هم الذين) يُعاينون الله».

ذات مرَّة قال القدِّيس ثاوفيلوس الأنطاكي Theophilus of Antioch (تنيَّح حوالي عام ١٨٠م) في مناظرة مع مُتجادلين:

[لو قلتَ لي: "أَرِني إلهك"، فأودُّ أنْ أُجيبك قائلًا: "أرني روحك أو إنسانك الدَّاخلي"، لأنَّ الله يُدرَك بالأشخاص القادرين على رؤيته، الذين لديهم عيون أذهانهم مفتوحة ... يلزم أنْ تكون روح الإنسان نقيَّة كمرآةٍ لامعة].

مِن خلال كتابات آباء الصحراء، نجد أنَّ الموضوع العظيم لنقاوة القلب يتكرَّر باستمرار، فيمكن لأسرار الله أنْ تُستعلَن فقط للقلب النَّقي. هذا الموضوع يتكرَّر باستمرار عند آباء الصحراء.

يكتب القدِّيس أموناس Ammonas تلميذ القدِّيس أنطونيوس St Anthony ويقول:

[أُصلِّي ليلًا ونهارًا مِن أجل أنْ تزداد قوَّة الله بداخلك، وتُظْهِر لك الأسرار العظيمة للألوهة، حيث ليس مِن السَّهل لي أنْ أنطق عنها باللسان، إذ هي أسرارٌ عظيمة وليست مِن هذا العالم، ولا تُعلَن قطُّ إلَّا لأولئك الذين ينقُّون قلوبهم مِن كلِّ دنس].

القدِّيس غريغوريوس النزينزي، وهو واحدٌ مِن أعظم اللاهوتيين في تاريخ الكنيسة، يُؤكِّد على أهمية النَّقاوة والقداسة الشخصيَّة للإنسان الذي يُفَسِّر الكتاب المقدَّس جيِّدًا، لكي يُحافظ عليه بأمانة، فيقول:

[ليس مِن حقِّ الجميع، يا أصدقائي، أنْ يتفلسفوا حول الله... فهذا ليس مِن حقِّ الجميع، فالموضوع ليس رخيصًا أو حقيرًا إلى هذا الحدِّ. وسأُضيف أيضًا، وليس أمام كلِّ السَّامعين، وليس في جميع الأوقات، وليس في جميع النقاط؛ ولكن في مناسباتٍ معيَّنة، وأمام أشخاصٍ معيَّنين، وأيضًا في حدودٍ معيَّنة ... تمامًا كما إنَّه مِن غير الآمِن أنْ نُحدِّق بعيونٍ ضعيفة في أشعَّة الشَّمس][٦].

(يتبع)

(6) St. Gregory of Nazianzus. *The First Theological Oration*.

بحث تاريخي

أديرة وكنائس منفلوط الأثريَّة

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

أسيوط:

تُعتَبَر محافظة أسيوط واحدة من أهم المحافظات المصرية التي يجتمع فيها عَبَق التاريخ مع ثراء الثقافة. وتُشكِّل هذه المدينة الجميلة وِجْهة مثالية لاستكشاف معالم أثريَّة وتراثيَّة فريدة تروي حكايات الفترات التاريخية القديمة المختلفة. وتتميَّز محافظة أسيوط بموقعها الجغرافي الذي تتلاقى فيه كثيرٌ من الحضارات القديمة التي تركت بصماتها الواضحة في كلِّ أرجاء المدينة. وتزخر أسيوط بكثير من المواقع التاريخية والأثريَّة التي شهدت أهم العصور في تاريخ مصر القديمة والحديثة. وتتوفَّر كذلك في مدينة أسيوط المظاهر الطبيعية الجميلة والمعالم السياحية والثقافية والترفيهية التي تجذب كلًّا من الزائرين والمُقيمين الراغبين في التعرُّف على تراث مصر الأصيل منذ القِدَم وحتى الوقت الراهن.

ومن أهم المعالم الأثريَّة والسياحية في أسيوط، تجدر الإشارة إلى بعض الأديرة القبطيَّة التي تزخر بها المدينة، لعلَّ من أهمها: دير الأنبا صرابامون بديروط الشريف، وكذلك دير الأنبا أبوللو غرب ديروط[١]، دير المشرقي بعزبة دوس في جنوب ديروط، دير مار مينا بصنبو[٢]، دير المحرق[٣] وهو أقدم الأديرة القبطيَّة بالمحافظة، دير العذراء

---

(١) شيرين صادق الجندي،"ديرالقدِّيس أبوللو بباويط (١ – ٢)"، *مجلة مرقس*، العددان (٦٣١ – ٦٣٢)، مطبوعات دير أنبا مقار، وادي النطرون (فبراير – مارس ٢٠٢٢)، ص ٣١ – ٣٤؛ ص ٣٤ – ٣٩.

(٢) شيرين صادق الجندي، "أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار مينا الأثرية في مصر (١-٢)"، *مجلة مرقس*، العددان (٦٦٤ – ٦٦٥)، مطبوعات دير أنبا مقار، وادي النطرون (مايو – يونية ٢٠٢٥)، ص ٣٥ – ٣٩؛ ص ٤٦ – ٤٩.

(٣) شيرين صادق الجندي، "دير المحرق: حضارة وتاريخ وتراث"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٣٤)، مطبوعات دير أنبا مقار، وادي النطرون (مايو ٢٠٢٢)، ص ٤٤ – ٤٨.

بجبل أسيوط الغربى، دير القصير للعذراء شرق القوصية، دير القدِّيس هرمينا السائح[٤] بجبل الفاو في عزبة الأقباط جنوب البداري، ودير ريفا[٥] الأثري بأسيوط، بالإضافة إلى كثير من الكنائس القبطيَّة الأثريَّة مثل: كنيسة الشهيد تواضروس بالتمساحية بالقوصية. كما توجد في مدينة أسيوط معالِم ثقافية أخرى هامة مثل:

١- مقابر الهمامية الأثريَّة، وهي من أقدم معالم أسيوط الأثريَّة في المنطقة الصحراوية بجنوب مركز البداري، حيث ترجع إلى حوالي ٥٠٠٠ سنة ق.م، وإلى نهاية عصر الأسرة الرابعة في عصر الملك خوفو. وبها موقع مصري قديم يُعرف باسم: "قاو الكبير"، والذي توجد به المقابر المعروفة باسم: "عزبة يوسف"، والتي تُظهِر كيفية تطوُّر فن النحت والعمارة في مصر القديمة.

٢- قصر أليكسان باشا المُطِل على النيل في شارع المحافظة بأسيوط، وهو بحقٍّ تُحفة معمارية نادرة تعكس فخامته، حيث يتميَّز بتصميمه الذي يجمع بين الطراز الكلاسيكى والفنون الإسلامية. فتظهر فيه الزخارف الدقيقة والتفاصيل المعمارية الفريدة التي تشهد على براعة فنون البناء في النصف الأول من القرن العشرين. ويرمز هذا القصر إلى تاريخ المدينة العريق. كما يجذب الزوَّار المُهتمين بالتاريخ والعمارة والفنون.

٣- متحف أسيوط القومي الذي تمَّ افتتاحه في شارع الجمهورية بالقرب من الترعة الإبراهيمية، والذي يُعتبر واحدًا من أبرز معالم أسيوط الثقافية والتعليمية، وذلك لاحتوائه على مجموعة نادرة من التُّحف الأثريَّة التي ترجع إلى العصور المصرية القديمة. وتُمثِّل تفاصيل الحياة اليومية والدينية في عصر قدماء المصريين: كالتماثيل، واللوحات، والأفاريز، والكوابيل، وموائد القرابين، والحُلي وأدوات الزينة، وأدوات الزراعة، وبعض الأسلحة.

٤- قصر ثقافة أسيوط الموجود في ميدان البنوك، وهو يلعب دورًا محوريًّا في نشر

---

(٤) شيرين صادق الجندي، "أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار مينا الأثرية في مصر (٢)"، مجلة مرقس، العدد (٦٦٥)، مطبوعات دير أنبا مقار، وادي النطرون (يونية ٢٠٢٥)، ص ٤٦ – ٤٩.

(٥) شيرين صادق الجندي، "كنائس دير ريفا الأثرية بأسيوط" (١ – ٢)، مجلة مرقس، العددان (٦١١ – ٦١٢)، مطبوعات دير أنبا مقار، وادي النطرون (فبراير – مارس ٢٠٢٠)، ص١٠-١٣ .

الوعي الثقافي وتعزيز الأنشطة الفنية. ويُعرَف قصر ثقافة أسيوط بتصميمه المُميَّز وبرامجه المختلفة التي تجذب مختلف الطبقات الاجتماعية. ويحتوي قصر الثقافة على مكتبة كبيرة ومتنوعة تضمُّ مجموعة فريدة من الكُتُب في الأدب والعلوم والتاريخ والفنون. كما تُعقَد في هذا القصر كثيرٌ من الحفلات الفنية على مدار العام، لتقديم عروضٍ موسيقية ومسرحية شيِّقة، لتشجيع المواهب المحلية والإسهام في إثراء الحياة الفنية في محافظة أسيوط؛ بالإضافة إلى تنظيم ندوات أدبية وفكرية لمُناقشة موضوعاتٍ ثقافية واجتماعية مختلفة يُشارِك فيها بعض الكُتَّاب والمُثقَّفين.

٥- قنطرة المجذوب الأثريَّة، وهي واحدة من أهم معالم أسيوط ومنشآتها المائية التي بُنيت في عصر محمد علي باشا جنوب شرق جامع المجذوب. وهي تتكوَّن من ثلاثة عيون لمجرى المياه، كما كانت هذه القنطرة مُخصَّصة للصرف الحوضي لمياه الري المعروف من عصر قدماء المصريين.

٦- قناطر أسيوط التي تُعتبَر من أبرز المشاريع الهندسيَّة في مصر الواقعة على نهر النيل في محافظة أسيوط. وتمَّ بناؤها بهدف تنظيم وتوزيع مياه النيل لري الأراضي الزراعية في صعيد مصر. وقد تمَّ تشييد القناطر في الفترة من ١٨٩٨م إلى ١٩٠٣م. وهي تتميَّز بتصميمها الهندسي البديع المُتضمِّن بوَّابات كبيرة لضبط تدفُّق المياه مِمَّا يُساعد في تحسين الزراعة.

٧- محميَّة وادي الأسيوطي، وهي من أهم المعالم الحديثة، وواحدة من أهم المحميَّات الطبيعية المُعلنة في مصر، لتعزيز الوعي البيئي على أطراف هضبة الصحراء الشرقية بجانب الطريق الصحراوي الشرقي لأسيوط. وتتميَّز هذه المحميَّة بتنوُّع النُّظُم البيولوجية بها، ووجود كثير من النباتات الطبيَّة والعطريَّة، بالإضافة إلى كثيرٍ من الحيوانات والطيور البريَّة المُهدَّدة بالانقراض.

منفلوط:

تقع منفلوط على الضفة الغربية لنهر النيل، وهي من أهم مراكز محافظة أسيوط على بُعد ٣٥٠ كيلومترًا جنوب مدينة القاهرة. وتُطِلُّ منفلوط على الترعة الإبراهيمية الكبيرة.

وأهم ما يُميِّزها الجو المعتدل وجودة المياه فيها. كما تشتهر منفلوط بزراعة الرُّمَّان. ومن أهم أعلام منفلوط، نُشير إلى كلٍّ من: علي أبو النصر المنفلوطي الشاعر الذي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، ومصطفى لطفي المنفلوطي الأديب المصري الكبير. ومن أهم الأديرة والكنائس القبطيَّة المُشيَّدة في منفلوط، نُشير إلى ما يلي:

١ – كنيسة الشهيد يوحنا الهرقلي بأُم القصور:

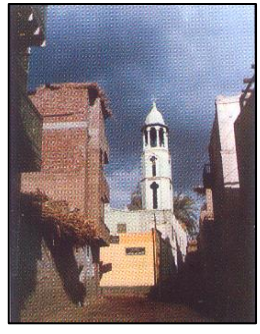

(الشكل رقم ١) التخطيط المعماري لكنيسة الشهيد يوحنا الهرقلي بأُم القصور.
نقلاً عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦١.

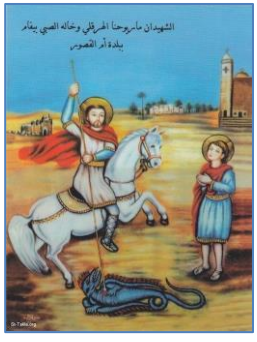

(الشكل رقم ٢) أيقونة للقدِّيس الشهيد يوحنا الهرقلي وخاله أبوفام.

Imag St-Takla.org

أشار المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي إلى هذه الكنيسة في القرن الخامس عشر الميلادي[٦]. كما ذكرها أيضًا الرحَّالة فانسليب في سنة ١٦٧٢م. وشُيِّدت هذه الكنيسة في منتصف قرية أم القصور التي تقع على بُعد ١٠ كيلومترات تقريبًا في جنوب القوصية وعلى بعد حوالي ١٠ كم في الناحية الشمالية من منفلوط. وتُعَدُّ هذه الكنيسة من كنائس القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي، أي إنَّ طرازها المعماري هو الطراز ذو الاثنتي عشرة قبَّة **(الشكل رقم ١).** وعُثِر بداخلها على أحجبة خشبية مُطعَّمة بالعاج. كما إنَّ بها ثلاثة هياكل. ويوجد جسد الشهيد يوحنا الهرقلي[٧] وخاله الشهيد أبو فام أو بيفام[٨] في هيكلها الشمالي **(الشكل رقم ٢).** **(يتبع)**

---

(٦) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦١.

(٧) كان الأمير الشهيد يوحنا الهرقلي من هرقلية بآسيا الصغرى. كما كان والده واليًا في عهد الإمبراطور الروماني دقلديانوس.

(٨) شيرين صادق الجندي، "أديرة قبطية في مصر باسم القدِّيس أبو فام"، مجلة مرقس، العدد (٦٤٣)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (أبريل ٢٠٢٣)، ص ٤٤-٥٠.

التقليد الأرثوذكسي

كحلٍّ لمشكلة السلطة اللاهوتيَّة

عند المُصلحين الأوائل[١]

إعداد: القمص مارك عزيز

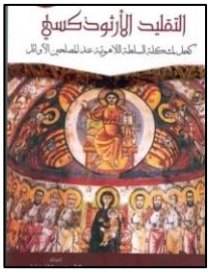

إنَّ الهدف من هذا الكتاب هو دراسة العلاقة بين الكتاب المقدَّس والتقليد، وذلك عَبْر تاريخ الكنيسة في الشرق والغرب. ويطرح الباحث سؤالًا: هل الكتاب المقدَّس وحده أم التقليد وحده؟ وهو سؤالٌ قديم وجديد بآنٍ واحد. فقد طُرِحَ قديمًا عندما كانت كنيسة العهد الجديد في بداية مسيرتها نحو الأبديَّة، تتحسَّس طريقها وتُمارِس اختبارها اليومي بعد انسكاب الروح القدس يوم الخمسين، مُلتمسة مصادرها الموثوق فيها، والمُعبَّر عنها في حياتها الليتورجيَّة، وشهادة الآباء الرُّسُل الكارزين بالمسيح المُخلِّص، الذي تحقَّقت فيه نبوَّات العهد القديم. فجاء التقليد المُقدَّس، الذي هو حياة الكنيسة التي ينقلها الروح القدس من جيلٍ إلى جيل، ليشهد بأصالة كلِّ مصادر الإعلان الإلهي على لسان كلِّ مَنْ عاش هذه الخبرة من آباء الكنيسة ومُعلِّميها.

والنتيجة التي خلصَ إليها هذا البحث، هي أنَّه لا يوجد تعارُض أو صراع بين كلٍّ منَ التقليد أو الكتاب المقدَّس، شريطة أنْ يُفهَم التقليد كما فهمته الكنيسة الأولى، وعاشته لقرونٍ، وأنْ يُفسَّر الكتاب المقدَّس كما فهمته الكنيسة، وعاشته أيضًا.

الكتاب ينقسم إلى ثلاثة فصول: **الفصل الأول** (وهو ما سوف نعرضه في تقديمنا لهذا الكتاب): يُناقش الآراء الآبائيَّة الأرثوذكسيَّة وآراء اللاهوتيين الأرثوذكسيين حول التقليد. ويُقدِّم أقوال آباء الكنيسة الأوائل أمثال: القدِّيس إيرينيئوس، والعلَّامة ترتليان، والقدِّيس باسيليوس الكبير. **والفصل الثاني:** يفحص كتابات لوثر حول مبدأ: "الكتاب المقدَّس وحده". **والفصل الثالث:** يُناقش الحوار بين الكنائس الأرثوذكسيَّة والكنائس اللوثريَّة.

ما هو تعريف التقليد الآبائي؟

كلمة "تقليد"، بحسب القاموس، تعني: "تسليم شيء ما، أو تعليم تمَّ تناقُله عَبْر الزمان". وتَرِد هذه الكلمة ثلاث عشرة مرة في العهد الجديد، حيث نجد الربَّ يوبِّخ اليهود على تخلِّيهم عن الوصايا الإلهيَّة، وتمسُّكهم بتقاليد آبائهم (مت ١٥: ٢، ٣، ٦؛ مر ٧: ٣، ٥، ٨، ٩، ١٣). كما

(١) الكتاب هو بحث للأب القمص مارك عزيز، الكاهن بكنيسة مار مرقس بواشنطن، للحصول على درجة ماجستير من جامعة أبردين بإسكتلندا. يقع الكتاب المُترجَم للعربية في ٢٢١ صفحة، وصَدَرَ سنة ٢٠٢١ عن مركز باناريون للتراث الآبائي.

يستخدم الرسول بولس الكلمة نفسها ليصِف التقاليد القديمة الخاصة بكلٍّ منَ اليهود والأُمم (غل ١: ١٤؛ كو ٢: ٨). ولكن عند نقطة معينة، يأمر القدِّيس بولس كنيسة التسالونيكيين بأنْ يتمسَّكوا بالتعاليم (التقاليد) التي تعلَّموها، سواء كان بالكلام أم بالرسائل (انظر: ٢تس ٢: ١٥).

العلاقة بين التقليد والكتاب المقدَّس والآباء:

اعتَبَر آباء الكنيسة الأوائل أنَّ الكتاب المقدَّس والتقليد وحدة واحدة لا تتجزَّأ، أحدهما يحتوي في داخله الآخر. فقد وجدوا تناغُمًا بين الكلمة المنطوقة والكتاب المقدَّس. لذلك نحن لا يُمكننا دراسة الكتاب المقدَّس بمعزلٍ عن آباء الكنيسة. ففكرة "الكتاب المقدَّس وحده أم التقليد وحده"، ليس لها مكانٌ في منظومة التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي. فنحن نرجع إلى الكتاب المقدَّس والآباء معًا، ونقتبس منهما معًا، لأنَّه منْ غيرِ المُمكن دراسة الكتاب المقدَّس وتفسيره بدون الآباء. وما منْ شكٍّ في أنَّ آباء الكنيسة هم أعظم مُفسِّري وشارحي الكتاب المقدَّس. فكلُّ هؤلاء الآباء قد كتبوا ووعظوا من الكتاب المقدَّس، لذلك فهم كانوا عيون الكنيسة التي بها تقرأ الكتاب المقدَّس.

التقليد والتقاليد:

هناك تمييز بين الكلمتين: "التقليد" (بالمفرد)، هو حياة في الروح القدس، الذي هو روح الكنيسة؛ إنها تلك الحياة التي تصنع استمراريَّة الحق والحياة في الكنيسة، وتُعطيها استقرارها واستمراريتها، وعدم تغيُّرها. بينما "التقاليد" (بالجمع)، هي التعبير الواقعي والتاريخي عن هذا التقليد، والتي ربما تتغيَّر مع الزمان والمكان. ولكن كلًّا منْ التقليد والتقاليد هما معًا جزءان مُتكاملان منْ حياة الكنيسة، ويُعبِّران عن كمال منهج الحياة المسيحيَّة التي تقود إلى الخلاص.

كذلك يمكن أنْ نقول إنَّ الكثير من التقاليد (العادات) التي سُلِّمت، هي تقاليد بشريَّة وعَرَضيَّة، أي هي آراء تَقَويَّة، لكنَّها ليست جزءًا من التقليد الواحد، الذي هو الرسالة المسيحيَّة الأساسيَّة.

على مَ تقوم الكنيسة؟

العناصر الأساسيَّة التي تُشكِّل مفهوم الكنيسة وتُكوِّن تقليد الكنيسة الأرثوذكسيَّة، هي: الكتاب المقدَّس، والمجامع، وكتابات آباء الكنيسة، والصلوات الليتورجيَّة، والقوانين الكنسيَّة. كلُّها معًا تُشكِّل وحدة واحدة لا تتجزَّأ، وكلُّ عنصر يُفهَم في ضوء العناصر الأُخرى.

الخُلاصة:

إنَّ الذين يَفْصِلون الكتاب المقدَّس والتقليد والكنيسة عن بعضهم البعض، يصلون إلى نتيجة وهي: إمَّا أنْ يكون الكتاب المقدَّس أعلى من الكنيسة والتقليد، أو أنْ تكون الكنيسة أعلى من الكتاب المقدَّس؛ والرأيان خاطئان. ولكن الكتاب المقدَّس والتقليد ليسا مُنفصِلَين، ولكنهما غير مُختلِطَين؛ إنما هما مُتَّحدان بغير اختلاط.

thousands, and the numbers of preachers and churches increased. Nevertheless, the first churches took place in houses, in extreme secrecy and caution, because the Jews would not stop from sieging, capturing and stoning Christians. Even the apostle Paul himself was not spared from stoning, and was once counted to be dead, nevertheless, after they stopped stoning him, "and dragged him out of the city, supposing him to be dead,"[1] the disciples raised him up and he shook off the dust and rose up unharmed. In this manner, the early church faced chasing, persecution and killing, until their blood became all over the place. One of the early historians said that the blood of the Christians was the seed of the church, wherever they were martyred a church would arise. Thus, churches were named after the martyrs, and their names remained on them until this day. The wilderness of Natrun was honored by an assault on one of the churches in the wilderness of St Macarius, where it was attacked by the Bedouins who killed forty-nine martyrs, and a small church was built for them amid the churches, where their yearly memorial takes place.

Churches spread all over Egypt and throughout the world around it. Then rose monasticism and it spread in Egypt, the Syrian region, Mesopotamia, Greece, Italy, Armenia, all of Asia Minor and Spain.

Monasticism became a seed around which arose the great cathedrals, which still fill all of Europe. Christianity was passed to America where the church flourished. In the church's early ages entered saintly believers whose stories filled the pages of thousands of manuscripts. However, due to the numerous wars, Christianity weakened, and the building of churches declined, especially after her sons entered wars and died. The Christian spirit, which used to be fiery throughout the past ages, began to grow cold, and so did the Christians' worship and consequently their love. Faith became confined to worship, and the number of those working by their faith, preaching it and doing its commandments, diminished. The church began to take her final image, for she is there in her place, void of believers, testifying against the spirit of the age.

December 30, 2005

✞✞✞

[1] Acts 14:19.

her heart until the last moment.[4]

Jeremiah the prophet was right when he said, "Your words were found, and I ate them, and Your word was to me the joy and rejoicing of my heart."[5] So was the author of the book of Psalms who said, "How sweet are Your words to my taste, sweeter than honey to my mouth!"[6] Likewise, Christ calls, not only for eating His words, but eating Christ Himself, when He said "he who feeds on Me will live because of Me!"[7] What a sanctified life this would be, for man would not only live in Christ and by Christ, but also Christ Himself would live in him. "He who feeds on Me will live because of Me". So, eating the words of Christ is a skill mastered by those who love Christ, who have devoted their lives for Him, like the hermits and those who live in caves and the dens of the earth, who still feed on Christ every day, and never become satiated, "for those who eat me will hunger for more."[8]

December 29, 2005

---

[4] Luke 2:19.
[5] Jeremiah 15:16.
[6] Psalms 119:103.
[7] John 6:57.
[8] Wisdom of Sirach 24:29.

Chapter 61
"I do not pray for these alone, but also for those who will believe in Me through their word" (John 17:20).

CHRISTIANITY takes its first image in the mind of Christ and the knowledge of the Father. For Christ asks the Father to bring all those who believe in Him into the protection of the Father as well. Here, Christ submits all of His mission to the Father, that He and the Father may continue leading those who believe in the Father and the Son. In this manner, the Father actually enters in the economy of the believers' lives. At the same time, Christians, whom Christ left after He breathed in them the Holy Spirit and who all received Him on the day of Pentecost, began to meet in one spirit, praying together and breaking bread per the commandment. Then, the image of the first church began to come out into the realm of being, supported by the Spirit and by Christ's visitations from time to time. Faith spread, and Paul became acquainted with it, he who became a striving apostle and invincible preacher. Thus, the church was being built and fortified in the nations which the apostles visited and where they planted a seed of faith. Those who entered the faith were numbered by the

and mind to God alone, thinking of nothing but what He was sent for, speaking nothing but what the Father utters in His heart, and doing nothing of Himself except what the Father instructs Him to do. Thus, His life was a read gospel, being sanctified by the holiness of the word which He heard and spoke. Christ affirmed once, saying, "Which of you convicts Me of [one] sin [that I did]?"[1] For sin would back away from Him, defeated and overpowered, and He would call upon holiness and it would come to Him with open arms. Everything that Christ touched was sanctified, and everything that came out of His mouth sanctified. Once, the devil cried out when he saw Him, saying, "I know who You are—the Holy One of God!"[2] So, Christ answered him, saying, "Be quiet", that the holiness in Him may remain a secret, unnoticed by anyone.

After being known as a curse and that whoever was crucified on it was cursed;[3] Christ sanctified the cross on which He was crucified. Thus, it became sanctified and so does everyone who believes in it, to the extent that the apostle Peter pleaded with those who were starting to crucify him not to crucify him as his Teacher, but to crucify him upside down, and thus it was done. When Christ said, "for their sakes I sanctify Myself," He revealed the mystery in this, in that it was not for Him to receive glory from anyone, but to emanate from His holiness on those who believe in Him that they may be shaded in the shadow of His holiness. He does not say, "that those who believe in Him may have Holiness as a title" as they are called nowadays, but rather to be sanctified in the truth that is in the word and the commandment. Here, Christ uncovers a mystery that we are pleased to expound to the reader: Christ's words come out of His mouth sanctified by His holiness are able to transfer the holiness of Christ that is in His words to everyone who accepts them in humility and openness.

Because of that, and for that, Christ says that He sanctifies Himself, so that His life and His words become sanctified in Him. Thus, Christ, throughout His life on earth, was the center of holiness to all who walked with Him and heard His sayings. So, the righteous would rush to run after Him to hear His words. Nevertheless, Christ's holiness did not enter except in him whose heart was opened to understand His words in faith, love and truth. Until this day, the words of Christ are confined to, not the one who hears them, but to the one who accepts them and keeps them in his heart, to know how the word will work in his life, just as Mary, the mother of the Savior, used to hear His words and keep them in

[1] John 8:46.
[2] Mark 1:24.
[3] Galatians 3:13.

throughout the night, delivered Him from Annas to Caiaphas, then they led Him and handed Him over to Pontius Pilate the Roman governor at the time.

Pilate's soldiers finished up what the men of Annas and Caiaphas had started from mocking, beating and stripping Him, and clothing Him with criminals' garments. Thus, Satan was strengthened by those priests and their criminal helpers, and he tortured Christ with severe torture. This is why Christ had asked the Father, before entering this trial, to keep His disciples, and of course all of those who believe in Him, from the evil one. Because he is really evil, he is cunning at laying traps and snares, causing the fall of every type of man in whatever way that suits him. Christ remained in the world to fulfill the sufferings originally deserved by man, as well as fulfill death on the cross with all of its torments in order to banish death by death. Christ defeated and trampled upon death as well as rose alive in the body, to fulfill on the cross all that man had deserved in order to justify man from all that he deserved as a wage for his sin and his trespass. Thus, through Christ's crucifixion and death, man was vindicated before God of all his sins and trespasses, and he attained full forgiveness and became prepared to enter the kingdom of God.

Here, He pleads to the Father to fulfill what Christ had started, and that is to keep the believers from the evil one. This work would be the strongest possible to complete the work of the cross. For on the cross, crippling and halting of the evil one was accomplished. Now, Christ asks the Father to keep those who believe in Him from the deception and harm of the devil. Here, one can see that Christ confines His request to keeping them from the evil one so that he does not drag them by force into sin. That is because sin is fortified in man's earthly nature. However God bestowed upon humanity the Holy Spirit and the renewal of creation, in order for man to receive another nature in which no sin dwells, but is prepared to fear God and keep His commandments to receive the good part, the Beloved Son's inheritance which is kept in heaven for the righteous ones of God. This is what Christ fixed His eyes on after leaving the world, so that man would not be left without a heavenly Helper.

December 29, 2005

Chapter 60
"And for their sakes I sanctify Myself, that they also may be sanctified by the truth" (John 17:19).

THIS statement is one of the most magnificent of what Christ has said revealing His personal secret which He had revealed to the Father that it may ultimately be manifested to us. Christ sanctifying Himself means that He confined His heart

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Father Matta has been fascinated by the deep theology in the Gospel of St John, so much so, that a large percentage of his writings concerns this special book. Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 59

"I do not pray that You should take them out of the world, but that You should keep them from the evil one" (John 17:15).

IT is not Christ's intention that we leave the world, whether willingly or unwillingly. For in the world, we witness for Christ and we enjoy His commandments. Our passing from this world rests in the hands of Christ and the Father. This is clear from the words "I do not pray that You should take them out of the world". For the world is the main place of witnessing to Christ and enjoying the protection of the Father and His pleasure. We are present in the world for a heavenly mission, witnessing for Christ and His works, and witnessing against the devil and all his works, not only that, but we break his traps and his dark schemes.

For Christ to ask the Father to protect us from the evil one is the fulfillment of what Christ did to Satan on the cross. He triumphed over him,[1] that is Christ captured the devil in the very act of the biggest crime that he committed throughout all the past years and ages, namely his accusation against Christ before the rulers and priests. Such an action facilitated His arrest and His false, unjust and fabricated trial, and his insinuation to the high priests to arrest Him as a criminal. Thus, they came out against Him with swords and clubs,[2] surrounding Him in the Mount of Olives, in the place where He used to meet with His disciples and pray. They arrested Him as a criminal, and they led Him and,

[1] Colossians 2:15.
[2] Matthew 26:55.

Martyrdom before one's conscience

One of you often says: 'Where is the persecution so I can be martyred?' Suffer martyrdom in your conscience; die to sin; 'Mortify your members which are upon the earth' (Col 3:5) and you will have become a martyr by intention. Those [former martyrs] fought with emperors and rulers; you have the devil, the emperor of sin, for adversary and demons for rulers. … For he who is a slave to porneia and spends his time on the delights of the flesh has denied Jesus and is an idol-worshipper having within himself the effigy of Aphrodite. Or again, he who is the slave of anger and wrath and does not extirpate the madness of this passion, he has denied Jesus, having Ares within himself for a god. Somebody else who loves money and pleasure but who 'shuts up his bowels of compassion' against his brother (cf. 1 Jo 3:17) he has denied Jesus too and serves idols, for he has the effigy of Hermes within himself. So if you achieve self-control and guard yourself against these raving passions, you have trodden the idols underfoot, denied superstition and become a martyr by making a good confession.

The Anonymous Sayings of the Desert Fathers, (tr. John Wortley) § 600.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Ἀθανασίου ἐπισκόπου Ἀλεξανδρείας

Πολλάκις λέγει τὶς ὑμῶν· Ποῦ ἐστι διωγμὸς εἰς τὸ μαρτυρῆσαι; Μαρτύρησον τῇ συνειδήσει, ἀπόθανε τῇ ἁμαρτίᾳ, νέκρωσον τὰ μέλη τὰ ἐπὶ τῆς γῆς, καὶ γέγονας μάρτυς τῇ προαιρέσει. Ἐκεῖνοι πρὸς βασιλεῖς καὶ ἄρχοντας ἐμάχοντο, ἔχεις καὶ σὺ ἀντίπαλον διάβολον τὸν βασιλέα τῆς ἁμαρτίας καὶ ἄρχοντας τοὺς δαίμονας ... Ὁ γὰρ πορνείαις δουλεύων καὶ ἡδοναῖς σχολάζων τὸν Ἰησοῦν ἠρνήσατο καὶ εἴδωλον προσκυνεῖ· ἔχει γὰρ ἐν ἑαυτῷ τῆς Ἀφροδίτης τὸ ἄγαλμα τῆς σαρκὸς τὴν αἰσχρὰν ἡδονήν. Πάλιν ὁ ὀργῇ καὶ θυμῷ ἡττώμενος καὶ μὴ ἐκκόπτων τοῦ πάθους τούτου τὴν μανίαν, τὸν Ἰησοῦν ἠρνήσατο καὶ τὸν Ἄρεα ἐν ἑαυτῷ θεὸν ἔχει … Ἕτερος φιλάργυρος ὢν καὶ φιλήδονος κλείων τὰ σπλάγχνα ἀπὸ τοῦ ἀδελφοῦ αὐτοῦ ... τὸν Ἰησοῦν ἠρνήσατο καὶ εἰδώλοις λατρεύει· ἔχει γὰρ ἐν ἑαυτῷ τοῦ Ἑρμοῦ τὸ εἴδωλον … Ὥστε τούτων ἐὰν ἐγκρατεύσῃ καὶ φυλάξῃ τῶν μανικῶν παθῶν, ἐπάτησας τὰ εἴδωλα καὶ ἠρνήσω τὴν δεισιδαιμονίαν καὶ γέγονας μάρτυς ὁμολογήσας τὴν καλὴν ὁμολογίαν.

(Ibid.)

St. Mark*Monthly Review*

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.

ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):

U.S. $110.00

Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:

"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.

No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.

© 2025 by the Monastery of St. Macarius the Great.

Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382

VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK

September 2025

Monthly Review

Dormition of the Blessed Virgin

Icon from the 19th century. The Cernica Monastery, Romania